تنسيق ورفع زيد العامري الرفاعي

محمود تيمور

مشكلات اللغة العربية

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ت ٩١٩٢٣٧٧

المطبعة النموذجية
٦ سكة الشابوري بالحلمية الجديدة

مشكلات اللغة العربية

تأليف

محمود تيمور

عضو مجمع اللغة العربية

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ت ٩٤٤٣٧٧

المطبعة النموذجية

٦ سكة الشابوري بالحلمية الجديدة

قضية اللغة العربية

١ — لغة الأمة عنوان ثقافتها وحضارتها ، ولذلك تُعنى الأمم كافة بلغاتها وتعمل على ترقيتها ، وكذلك الشأن فى العالم العربى ، وبخاصة مصر . بيد أن الحال عندنا يختلف عنه فى سائر الأمم ، فبينما نرى الهمم متجهة فيها إلى إصلاح اللغة والنهوض بها ، إذا بنا نرى أنفسنا تتجه بهممنا اتجاها أبعد مدى ، فإننا حيال مشكلة يخوض فى حديثها المفكرون ، فيتساءلون : هل تصلح لغتنا العربية أن تكون أداة لمسايرة الحضارة ؟ وهل تضطلع بما يطلب منها للتعبير عن مقتضيات العلم والفن والصناعة ؟ وهل يرجع التقصير إليها لا إلينا ؟ وهل هى من اللغات الميتة التى يعفو أثرها كاللاتينية ؟ والذين يتساءلون هذه الأسئلة ينادون بوجوب اتخاذ لغة تحل محل العربية ، ويرشحون العامية لهذا المحل ، إذ يعتقدون أن ماجرى على اللاتينية من القانون الطبيعى سيجرى على العربية حتما . ومن ثمّ يظهر لنا جلياً أننا مختلفون فى موضوع اللغة عن غيرنا : هم متوافقون على الأساس ، ماضون فى التغيير

والإصلاح . ونحن يعارض بعضنا بعضاً فى الأساس : هل تصلح اللغة لتكون عنوان الثقافة والحضارة لنا ؟ وهل من الصالح أن نبقى عليها لا نستبدل بها سواها ؟

٢ — والذين يشبهون العربية باللاتينية يتلمسون وجه الشبه فى ناحيتين : الأولى أنها ليست إلا لغـــة الكتابة ، والأخرى أنها لم تتطور مع الزمن التطور الكافى للحياة والنماء ... والحق أن من أكبر مظاهر حيوية اللغة أن تكون لغة كلام ، وقد كانت العربية كذلك حقبة من الزمن ، فلما اتسعت رقعة المملكة ، وشملت ألواناً من الأمم الأعجمية ، وكثر المولدون فى أقطارها ، نشأت فى كل صقع لهجة عامية إلى جانب الفصحى ، كالعراقية ، والشامية ، والمصرية ، والمغربية . وحقاً من أكبر مظاهر حيوية اللغة أيضاً أن تتغير وتتطور وفق مقتضيات العصور ، فلا تصبح لغة قرن مضى لغة قرن حاضر . وقد يبدو أن تطور العربية لم يمض إلى غاياته ، فتخلف وراء الزمن ، وما زالت لغة القرون الغابرة مسيطرة على العصر الحديث . فللناس عذرهم فيما يقولون من الموازنة بين العربية واللاتينية ، لأن اللاتينية كانت لغة أصلية

للكتابة والكلام ، ثم تفرقت بعد الفتوحات الرومانية لهجات عامية صارت فيما بعد لغات مستقلة متطورة حية ، وبقيت اللاتينية لغة كتابة ، إذ تغلبت عليها مشتقاتها كالفرنسية والإيطالية والأسبانية ، فضاق محيط استعمالها ، وظلت تتضاءل وتجمد وتفقد حيويتها ، وانتهى بها الأمر إلى العزلة بين الصحائف المطوية من الكتب القديمة .

٣ — ولو تدبرنا الأمر لظهر لنا أن العربية تتميز عن اللاتينية بعنصر جوهرى يدعها فى مأمن من أن يجرى عليها ما جرى على تلك . وذلك أن العربية لغة دين سماوى ذى خطر ؛ وبها كتبت أصول هذا الدين تشريعاً وحكمة وثقافة . وعلى رأس هذه الأصول : القرآن ، معتمد المسلم ومرجعه فى شئونه الدينية وعقيدته الروحية . وقد قدس نص القرآن كما أنزل بالعربية الفصحى ، فبقيت ملازمة له ، تكاد تقدس معه نصوصها . ولما كانت العقائد الدينية راسخة فى القلوب ، على الرغم مما يقال من أن تطور المدنية سيقضى على تأثير هذه العقائد ، فإن العربية باقية ببقاء الإسلام ، أى القرآن . ولما كانت لغة قريش المنزل بها القرآن

بلغت حين نزوله أقصى مبلغ من قوة البيان ، وفصاحة التعبير ، وكان القرآن موضع التحدى للعرب أن يأتوا بسورة من مثله ، اعتبر ذلك الكتاب أسمى نمط للعربية الفصحى ، وأعلى نموذج للبيان المعجز ، فظل القبلة الخالدة فى استلهام أنصع الأساليب لنظم الكلام . فما دام القرآن محفوظاً ، والإسلام قائماً ، وأمته العربية موفورة ، فلن يكتب لهذه اللغة الفناء ... وذلك فى الحق أعظم الأسباب التى صانت العربية عن الزوال فى الماضى والحاضر ، وسيكون السبب الذى يمدها بعوامل البقاء فى المستقبل . فأما اللاتينية فلم يتح لها أن تكون لغة كتاب سماوى مقدس له حرمته فى اللغة ، وله أثره فى صونها وحياطتها ، ومن ثم خضعت للناموس الطبيعى . وإنما يحمى العربية من مثل هذا المصير أنها كما أوضحنا لغة كتاب مقدس يدعم عقيدة دينية راسخة ، والعقيدة ناموس طبيعى آخر لا تستغنى عنه النفس البشرية بحال . فبقاء العربية إذن نظام يجرى وفق سنة طبيعية بشرية صحيحة لا يعتريها التبديل .

٤ — وأقرب ما يعترض به على القائلين بجمود العربية ، وينفى عنها شبهها باللغات الميتة ، أنها لبثت قرابة ألف وخمسمائة سنة

تؤدى مهمتها على وجه مرضىّ ، وها هى ذى تطاوع الرقى العلمى والأدبى والعمرانى فى العصر الحديث ، فنراها لسان الدرس على اختلاف مراتبه ، والكتاب على تباين فنونه ، وأداة الخطابة فى منابر القضاء والمحافل على شتى أغراضها . وحسْبنا الصحافة مصداقا لهذه الحقيقة ، فقد لانت العربية للصحف والمجلات تعبر عن شئون الحياة العامة والخاصة . ولا جرم أن بقاء الفصحى على هذا النحو يكاد يعد معجزة فى عالم اللغات ، ولكنها معجزة لها مسوغاتها الطبيعية التى لا افتعال فيها ولا قسر . فالآن يجمل بنا أن نساعد قوى هذه اللغة على أن تتطور التطور الأوفى ، وأن نجعلها أكثر لياناً وطواعية لتواتى مقتضيات الحضارة العلمية والأدبية والعمرانية اليوم وغداً ، فتكون أكثر صلاحية للتعبير ، وأشد عضداً لمواجهة الزمن القريب والبعيد . وفى سبيل هذا الهدف الأسمى يجب أن نعتبر اللغة كائناً حياً ينمو ويتطور ، لا كائنا أثرياً فى ذاته وفى احتفاظه بحالته . فإذا نظرنا إلى اللغة بهذا الاعتبار لم ندخر وسعاً فى تغذيتها بالصالح المفيد ، وتخليصها من شوائب الجمود .

٥ — فما هو العائق الذى يحول دون تطور اللغة ؟ وكيف السبيل إلى رفع هذا العائق ؟ أكبر ما يعوق اللغة فيما يقولون أنها لغة كتابة لا لغة كلام ، ولو كانت لغة كلام لعاشت فى السوق والبيت ، ولنمت من تلقاء نفسها ، ولاشتقت ألفاظها من طبيعتها دون اللجوء إلى عوامل مصنوعة . وذلك شأن العامية فى أقطار الشرق ، فهى أكثر طلاقة ، لأنها ترجمان الحياة الدارجة . ولكن تلك العامية لا ضابط لها ولا نظام ، فإنها لهمجية غير مهذبة ، وليس لها من أصول مستقرة قط . ولا طاقة لها بالتعبير الراقى عن جلائل الأشياء فى ميادين الاجتماع . فأما لغة الكتابة ، أعنى الفصحى ، فقد انصقلت على ترادف الأيام ، وأحكمت ضوابطها فى الألفاظ والأساليب ، لأنها استعملت فى التعبير منذ أمد مديد . فهل يمكن أن تكون هذه الفصحى لغة كلام ليتم كمالها بالمعنى الواسع ؟ الواقع أننا حين نتأمل سائر اللغات الحيـــة المعتبرة لغات كلام وكتابة معاً ، لا نعدم الفروق فيها بين الكتابة والكلام . وربما كانت هذه الفروق هينة بالإضافة إلى الفرق بين العربية وعاميتها ، ولكن الفرق فى مثل الألمانية ظاهر . ومن المحتمل أن يتضاءل

ما بين العربية والعامية من البون على مر السنين ، ولاسيما إذا اطرد رقى التعليم وشمول الثقافة . وقد يكون عن كثب منا يوم تتدانى فيه العربية والعامية باستمداد كل منهما من الأخرى .

٦ — ولتحقيق هذا الهدف الجليل يجب أن نعين العربية على أن تبسط سلطانها ، وتستوفى حيويتها فى ميادين الحياة العامة . وإننا لمجملون ما نراه لذلك فيما يلى :

أولا — تزويد اللغة .

ثانياً — تبسيط اللغة .

ثالثاً — تيسير النحو .

رابعاً — تعميم الضبط .

ولنتناول كل نقطة من هذه النقط ببعض الشرح :

أولا — تزويد اللغة :

تغزونا المدنية العصرية بعلومها وفنونها وصناعتها ، وتفرض نفسها علينا بألفاظها الأجنبية التى تميزها ، كالمخترعات وأجزائها ، وشتى الأدوات والعقاقير ، وصنوف المطاعم والمشارب

وأوانيها ، وضروب الأثاث وما إليه ، ومظاهر الحياة الحضرية من ألعاب ومجامع ونحوها ، فهل ندخل هذه الألفاظ جميعاً فى لغتنا بعد أن نخضعها لأصول التعريب ، فنلفظ « الأوتوموبيل » مثلا نجعله « التمبيل » ، و « الترامواى » ننطقه « اترام » ، و « السينماتوغراف » نقوله « السيما » ؟ ذلك رأى جماعة من أولى الرأى . وفينا من يرفض التعريب ، مؤثراً اللفظ العربى الذى يؤدى المعنى الأجنبى ، إما بالاشتقاق من المواد اللغوية العربية ، وإما بإحياء الألفاظ التى نلمح الملابسة بينها وبين المعانى الجديدة ، كالسيارة « للأوتوموبيل » ، والقطار « للبابور » ، والجماز « للترامواى » والخيالة « للسينماتوغراف » . أما القائلون بالتعريب فيحتجون بأن الألفاظ الأجنبية موج زاخر ، وهيهات أن نرد اندفاعه مهما نبذل من جهد . على أن بعض هذه الألفاظ عالمى الذيوع ، وبخاصة ألفاظ العلوم والفنون ، فمن العبث الانفراد بوضع ألفاظ جديدة ، خروجاً على المتواضع عليه فى جميع اللغات . وأما الرافضون للتعريب فهم يخشون أن تصبح العربية مجرد قوالب وصيغ للألفاظ الأجنبية الهاجمة ، على حين أن

فى الألفاظ العربية ما يؤدى كثيراً من معانى هذه الألفاظ الأجنبية عينها .

وكما يحتدم الخلاف فى مسألة التعريب بين الباحثين يحتدم أيضاً فى مسألة المُوَلَّد فى العامية . فيرى فريق أنه لا يجوز لنا استضافة ما ولده عامة الناس ، وما أشاعوه على ألسنتهم من الكلمات ، وذلك كالبلاص ، والدوار ، والحلة ، والطرحة . ويرى فريق آخر أن نتقبل كل ما جرى على ألسنة العامة من هذه المولدات . والقول المفضل فيما يبدو لى أن نتوسط فى الأمر ، وأن يكون موقفنا فى مسألة المعرب والمولد موقف مرونة وموازنة وتقدير لملابسات كل لفظ ومدى الحاجة إليه . فلنشتق ، ولنستضف من العامية ، ولنستحى القديم من الألفاظ ، ولنعرب الأجنبى ، متوخين فى كل ذلك الحكمة . وحرىٌّ بنا أن ندع ذلك للهيئة اللغوية المشرفة ، على أن تراعى سهولة الألفاظ ، وموسيقية الحروف ، وخفة الصيغة على السمع . ومن أمثلة الألفاظ الموفقة : السيارة « للأوتومبيل » والدراجة « للبسيكليت » والمَغْنَى « للفيلا » - وهذا من المشتق . والشطيرة « للساندوتش »

والمشجب « للشماعة » والمعطف « للبالطو » ـ وهذا من القديم المستحيَ . والكهربائية « للترامواى » والعجلة « للبسكليت » والتسريحة لقطعة الأثاث الخاصة بالزينة — وهذا من العامى . والسينما ، والفلم ، والديزل — وهذا من المعرب ، فتلك الألفاظ مستساغة مقبولة . فأما أمثال القرطاق « للشمازت » والإرزير « للتليفون » فما لا ينتظر شيوعه وقبوله بحال . فخير لنا ألا نضيع الجهد والوقت والتجربة فيما لا غناء فيه ، ولا جدوى منه ، وانربأ بأنفسنا عما يجرّ علينا التهكم والسخرية .

والذى يعوز اللغويين فى مشكلة الألفاظ الجديدة هو عرضها عرضاً كافياً لإشاعتها . ولا ننسى أن ما ذاع من الألفاظ فى فجر نهضتنا الحديثة كان وليد حماسة الكتاب له ، وإقبالهم عليه . وعلى الهيئة اللغوية المشرفة أن تتفنن فى عرض الألفاظ على الجمهور بمختلف الوسائل ، وفى مقدمتها الصحف والمجلات . فبالتكرار يتسنى للجمهور أن يغربل ما يعرض عليه ، وأن يأخذ ما يوائم ذوقه ، فلا يلبث كثير من هذه الألفاظ الجديدة أن يشيع ويدخل فى صميم اللغة السارية .

ثانياً — تبسيط اللغة :

إنما يتم تبسيط اللغة بالاقتصار من الأنماط الكتابية على المألوف المأنوس ، دون غوص على المهجور المجفو من الكلام ، إلا ما تقتضيه ضرورة التعبير عن معنى دقيق أو حقيقة جديدة لا يعبر عنها بلفظ متعارف ، على ألا نجانب السهولة والاستساغة فيما نتخذ من الألفاظ . ولندع وحشى الكلام فى بياننا ، فقد انصرم ذلك العهد الذى كانت البراعة فيه تقاس بالإلغاز فى التعبير ، وتصيد الغريب الحوشى . وأصبح البيان الحق يدور على استعمال اللفظة المعبرة الكاشفة فى موضعها الملائم بأسلوب وضاح لا تعقيد فيه . وكذلك تبسط اللغة بتحديد معانى الألفاظ تحديداً منطقياً ، فلا نسرف فى اصطناع المترادف الذى يجعل الألفاظ غير مفصلة على قدود المعانى . وقد استطاع كتاب العصر الحديث أن يمضوا فى هذه السبيل شوطاً بعيداً ، فتحدد كثير من قيم الألفاظ ، وتعينت دلالاتها المعنوية ، وذلك من أثر التوسع الثقافى ورقى الذوق الأدبى ، والاطلاع على حقائق العلم والاجتماع .

وقد جال بخاطر بعض دعاة التبسيط اللغوى أن ينشئوا لغة مختزلة ذات ألفاظ محدودة لا تتجاوز بضع مئات مع تأديتها لجميع المعانى، وذلك محاكاة للغة الإنجليزية المسماة « البيسك » ، وفائدتها أن تساعد على انتشار اللغة والإقبال على تعلمها وسهولة استعمالها . والرأى عندى أن هذه اللغة لا يكتب لها النجاح ، لأن المتعلم لها لا يستطيع أن يستعمل سوى ألفاظها ، ولا أن يفهم غيرها . فإذا قرأ فلا بد أن يقرأ المكتوب بهذه اللغة وحدها ، وبذلك لا تكون له صلة باللغة الأصلية ، ولا بما تنتجه عامة أدبائها وعلمائها . وثمة عيب آخر فى اللغة المختزلة : وهو أن الألفاظ لقلتها تؤدى معانى كثيرة ، فيتذبذب اللفظ بين أشتات المعانى ، وذلك ما يناهضه مصلحو اللغات فى الأمم . وفوق ذلك كله لا تصلح اللغة المختزلة للأدب والشعر ، لأنهما يتطلبان موسيقية لفظية ، ويقتضيان إيثار تعبير على تعبير ، وكذلك بعض العلوم والفنون يستلزم دقة فى البيان لا تتيسر مع قلة الألفاظ وضغطها . ولهذا أعتقد أن تيسير اللغة لا يكون بوضع لغة مختزلة ، إلا أن يراد أن تعد هذه اللغة خطوة أولية لتعلم اللغة الأصلية .

ثالثاً — تيسير النحو :

كان النحو من المشكلات التى طالما فكر فى حلها الباحثون ، وذهبوا فى شأنها مذاهب بين التفريط والإفراط . وفى معتقدى أنه لا سبيل لنا إلى التخلى عن النحو ، لأنه من مقومات اللغة وأصولها ، فإذا تخلينا عنه فقد هدمنا ركناً أساسياً تعود بعده اللغة فوضى تحتاج إلى ضوابط تحل محله . وكل ما يمكن عمله هو تصفية القواعد الكثيرة وغربلتها ، فما كان منها جوهرياً أبقيناه ، ولنتخذ من تسمح بعض النحاة الأقدمين قدوة لنا فيما نعالج من تيسير القواعد إلى الحد الممكن ، وحذف ما لا يلائم التطور العصرى للغة . وأكاد أجزم بأن النحو سيظل أساس لغة الكتابة ، حتى تتقارب لغة الكتابة والكلام . ويومئذ يقتصر على قدر ضئيل من نحو العربية . على أن مشكلة النحو فى أول الأمر وآخره لم تنشأ ولم تصبح عويصة إلا نتيجة لمشكلة الضبط ، وهى مدار حديثنا فيما يلى .

رابعاً — تعميم الضبط :

اجتازت العربية مراحل متتابعة فى سبيل الرقى ، فكانت

الكتابة أول الأمر بلا نقط ، ولم يكن بالعسير على العرب أن يقرءوا غير المنقوط قراءة صحيحة بهداية السياق والفطنة وسرعة التمييز. فلما اتسع نطاق المملكة العربية ، وأقبل الأعاجم يتلقون اللغة ، وأخذت الأمة بأطرف العلوم والفنون ، وكثر تداول الكتب ، مست الحاجة إلى النقط ، ثم نشأ الضبط أو الشكل تخفيفاً لعبء الفهم وتقييداً لقواعد النحو والصرف . بيد أن هذا الشكل لم يستعمل إلا فيما خيف عليه التحريف ، كالنصوص الدينية ، وما يشكل فهمه من القطع الأدبية واللغوية . وفى وسعنا أن نحكم بأن علامات الشكل لم تكن موفقه منذ نشوئها . وإننا لواجدون دايل ذلك فيما كان يلجأ إليه العلماء القدامى من ضبط الألفاظ بتفسير الحركات لا بالعلامات ، إذ يقولون : بفتح الحاء المهملة ، وضم الجيم المعجمة ، وكسر التاء المثناة فوق ، وما إلى ذلك ، توخياً لدقة الضبط ، وخشية تصحيف النسّاخ . وعندى أن الشكل فى عصرنا الراهن ضرورى كل الضرورة ، وما هو فى الواقع إلا حروف ناقصة من الكلمة العربية حقها أن تستوفى كما فى اللغات الأجنبية ، فالحركات فى هذه اللغات حروف يطلق عليها «الحروف المصوّتة»

فمثلا لفظ « محمد » فى العربية أربعة أحرف ، وفى اللغات الأجنبية ثمانية غير التنوين . وهذا النقص الحرفى بالكلمة العربية يحضر فى خواطرنا أن لغتنا المكتوبة لغة اختزال ، وبرهان ذلك أن الاختزال لم يُجْدِ عندنا جَدْواه فى اللغات الأجنبية . وذلك لأن الصحفى العربى إذا أراد نقل خطبة مرتجلة تسنى له ذلك لايدع منها حرفا . فأما الصحفى الإنجليزى فإنه يستحيل عليه نقل خطبة انجليزية تلقى إذا جهل الاختزال . والسر فى هذا أن كتابتنا العربية مختزلة من تلقاء نفسها ، وإذا وفقنا إلى إدخال الشكل فى بنية الحروف ، فستكون لدينا لغتان : اللغة المشكولة المكتملة ، واللغة المختزلة غير المشكولة . ولما كانت مهمتنا تيسير اللغة وتسهيلها فإن من الواجب علينا أن نفكر فى مسألة ضبط الألفاظ تفكيراً جدّياً عملياً ، لأن الألفاظ غير المضبوطة يختلف فى نطقها القراء ، ولأنه يصدق علينا ما قيل من أننا نفهم أولا لكى نقرأ قراءة صحيحة ، على عكس المقصود بالكتابة ، وهو أن نقرأ أولا لكى نفهم الفهم الصحيح . فالضبط عامل ذو خطر فى نشر اللغة وتعميمها ، وتشجيع النطق بها والاستفادة التامة منها . على أننا لا ننكر أن تعميم

الشكل فى الحروف مشكلة فنية من حيث التطبيق والتحقيق ، وقد درسها كثير ، واقترحت فى شأنها مقترحات مختلفة . وأغلب هذه المقترحات يدور على تذليل عقبات الطباعة التى تعترض الجمع بين علامات الشكل والحروف ، حتى لا يرهق العامل ، ولا تثقل السطور . ولسنا هنا بصدد إيثار مقترح على مقترح ، ولكننا نشير إلى أنه لابد لنا من الإبقاء على مألوف الكتابة العربية ، ونبذ التفكير فى العدول عن صورة الحروف الأصلية ، حرصاً على صلاتنا بماضينا الأدبى والعلمى الزاخر بالتآليف مخطوطة ومطبوعة. وإذا وصلت هيئة فنية إلى حل هــذه المشكلة باختيار علامات صالحة للتعميم ، فإن من الهين أن يتحمل عامل الطباعة بعض الجهد والمشقة فى سبيل إنقاذ اللغة ، وكسب الفوائد العظيمة التى تعود علينا من تعميم الضبط . فإننا إذا تمثل لنا أن قارئنا العربى سيقرأ دائماً كتابة مضبوطة نحواً وصرفا فى كل ما تقع عليه عينه من كتاب أو صحيفة أو مجلة أو نشرة من أى نوع كان — ارتقبنا أن تصل به الحال إلى أن يصبح النطق بالصواب سليقة له ومرانة . ولا يبعد علينا بعد فترة من الزمن أن نلمح بوارق العهد الذى كان العرب

فيه يحسنون النطق الصحيح على غير علم بالقواعد أو تعلم لها. وما أعظم هذا كسباً !... ويخيل الىَّ أنه يجمل بنا ألا نضيع الوقت فى اختيار علامات للشكل تحل بها هذه المشكلة، وإنما نبدأ باستعمال الشكل فى حالته الراهنة، فنعممه فى جميع الكتب التى تتدارسها دور التعليم فى المكاتب الصغيرة إلى المعاهد العالية، لا فرق فى ذلك بين كتاب جغرافى أو رياضى أو نحوى. وحين يبدأ التلميذ حياته العلمية على هذا النحو، ويمضى فى ذلك أثناء تنقله فى درجات التعليم — لايشب إلا قارئاً مطبوعا على الصحة والصواب، فتصبح هذه الخطوة أولى خطوات تعميم الشكل وضبط اللغة، وتقريب نشرها بين أهليها. ولاسيما إذا تبع ذلك التوفيق فى ابتكار علامات يسهل على أيدى العمال استخدامها فى جمع الحروف، كما يسهل على أقلام الكتاب استعمالها فيما تجرى به الأقلام.

* * *

٧ — وحينما نجنى الثمرة الطيبة بتحقيق العوامل التى أسلفناها، وهى: تزويد اللغة وتبسيطها، وتيسير نحوها، وتعميم الضبط فى كلماتها — نكون قد مهدنا للعربية وسائل النمو المطرد، واستكمال

السلطان التام . ولو أضفنا إلى ذلك محو الأمية ، وشمول الثقافة ، ورقى طبقات الشعب — لألفينا لغة الحـــوار ترتقى وتزدهر ، وتصطبغ بصبغة فصيحة شيئاً فشيئاً . وسيقوم بين لغتى الكتابة والكلام تعاون وثيق وتبادل مستمر . فلغة الكلام تمد لغة الكتابة بألفاظ حية تسرى فى أساليبها دما جديداً ، ولغة الكتابة تدفع إلى لغة الكلام عبارات شريفة وكلمات منتقاة لا غناء عن استعمالها فى محيط الحياة . ولقد بدأنا نلمس أثر هذا التعاون والتبادل فى أيامنا الراهنة ، ومن أمثلة ما دفعته لغة الكتابة إلى لغة الحوار ، كلمات : الغارة ، والمخبأ ، والإضراب ، والنقابة ، والثقافة ، والقرض . حتى لقد راض العامة ألسنتهم على استعمال القاف الغليظة لورودها فى كلمات ضرورية الذيوع . فأما فيما يتعلق باستمداد لغة الكتابة من العامية ، فقد رأينا نفراً من كتابنا الأدباء يتخيرون من الألفاظ الدارجة ما لطف وقعه ودق تعبيره وصح تخريجه . وربما كان هذا التعاون والتبادل وئيد الخطا ضئيل المظهر . ولكن مرد ذلك إلى ما كان من تخلف الثقافة ، وانتشار الجهالة ، والبطء فى محاربة الأمية ، وعلى الرغم من ذلك يتجلى لنا

بقليل من التأمل أن العامية خلال عشرات السنين الماضية تدانت إلى الفصحى بما اصطنعت من ألفاظها ، وهيهات أن يقاس بعد العامية منذ خمسين عاما ببعدها الأقل مسافة الآن . وهذا يؤيد أن التعاون بينهما سيكون فى قابل الأيام أوثق عرا وأوفر جدوى ، لما ألمعنا إليه من التوسع فى التثقيف والتعليم ، ولما ينتظر من المضى فى تجديد العربية وعلاج مشكلاتها على أى نحو يكون . وكلما ازداد التعاون والتبادل بين لغتى الكلام والكتابة تضاءلت بينهما الفوارق ودنت كل منهما إلى الأخرى . ومتى كملت للعربية هذه المطالب كان لها أن تطمئن إلى حياة مديدة موصولة تجارى الزمن ، وتتطور معه ، وتتجدد به : فكما كانت العربية لغة الماضى ، وكما بقيت لغة الحاضر ، ستظل لغة المستقبل ...

لغة المجتمع ...

(١)

لا يزال مجتمعنا الحاضر — مجتمع الناطقين باللغة العربية — يعانى من مشكلة اللغة خلافا على بعض الأصول والآساس .

وأكبر ما يعانيه المجتمع من ذلك الخلاف ما يتعلق بالقياس والسماع . منا من يقف بالقياس عند الحدود التى رسمها أئمة اللغة وفقهاؤها فى العصور الأوالى كما يقف بالسماع عند ذلك العهد الغابر الذى أخذ فيه العرب الخلص يختلطون بغيرهم من الأمم ، فسرى اللحن على الألسن ، وتدسست العجمة إلى الفصحى . وإذن فلا قياس إلا ما قاسه من قبل أولئك الأئمة والفقهاء . ولا سماع إلا ما أثر عن العرب قبل أن تفقد سلائقهم ما لها من خلوص وصفاء .

ذلك هو محور النزاع الذى ترتد إليه ألوان المجادلات والمساجلات الدائرة بين طوائف من اللغويين وجماعات من الكتاب والباحثين حول الألفاظ والعبارات .

ولو أردنا لهذا الرأى أن يسود ، وتركنا لمعقباته أن تكون ، لحجرنا من القياس ما حجر الأولون ، وحصرنا السماع عند ذلك

العهد السحيق ، لشقيت بنا اللغة شقوة الأبد ، فإن فى ذلك حكماً عليها بالضيق الذى ينتهى بها إلى اختناق ، والجمود الذى يسلمها إلى موت محتوم .

اللغة ظاهرة من ظواهر الحياة ، وقانون من قوانين المجتمع . وظواهر الحياة تتبدل وتتشكل طوعا لتصاريف الزمن ، وقوانين المجتمع تتجدد وتتطور وفقاً لما تقضى به ضرورات الاجتماع .

وليست أقيسة اللغة إلا استنباطاً مما يجرى فيها من ألفاظ وصيغ ، فاللغة هى الأصل ، والقياس منها يتفرع ، فهو ظلها الناشىء عنها ، يمتد إذا امتدت ، ويميل معها حيث تميل .

والصواب فى اللغة مناطه الشيوع ، فمتى ساغت الكلمة فى الأفواه فقد ظفرت بحجتها فى الاعتداد بها ، وأصبح لها فى الحياة حق معلوم .

إن الوضع الطبيعى فى كل لغة أن ينشأ اللفظ الموفق مؤدياً غرضاً من أغراض التعبير ، فيصقله الاستعمال حتى يبلغ منزلة الألفة ، وعلى مر الأيام يتسع مدلوله فى الأفهام أو يتقلص ، ويتوهج فى مجال التعبير أو يعلوه الصدأ ، وربما انتقل إلى مقام غير

مقامه ، وحل غيره محله ، وربما طال عليه الأمد وهو سائغ مستعذب عليه رونق الحياة ، وربما قضت عليه الأقدار بأن يصير إلى إغفال وإهمال . كذلك شأن اللغات فى ألفاظها وعباراتها منذ كانت، تنازُع موصول بين النباهة والخمول ، وتسابُق دائر بين النماء والفناء .

الناس يتخذون ألفاظهم رعياً لملابسات العيش ، وسداً لمقتضيات التعبير . واستيفاء لما يجدون فى أنفسهم من ألوان المشاعر ، وهيهات للفظ أن يأخذ حظه من السيرورة على الألسن إلا إذا صادف هوى فى النفوس ، ولاءمته استجابة عامة بين الناس فى مقامات الكلام . فغلبة اللفظ فى الاستعمال أسطع برهان على صلاحيته ، وأقوم دليل على صدق الحاجة إليه . بل إن غلبة استعمال اللفظ وثيقة تثبت أنه خلية حية فى بنية اللغة ، خليقة بالتقدير والاعتبار .

لا ريب فى أنه إذا كان لقوم عرف وعادة ، فذلك العرف والعادة جزء من قانونهم الطبيعى ونظامهم العام ، وإن خلا منه القانون المسطور . والقوانين الصحيحة فى كل أمة هى القوانين التى تقتبس روحها من عرف الأمة السائد ، وتستمد كيانها من عاداتها المحكمة . . . وكذلك شأن القانون الصحيح للغة ، لا مصدر له

إلا ما تزخر به اللغة المسوّدة من ألفاظ وأوضاع .

لنتدبر المثل القائل :

« خطأ مشهور ، خير من صواب مهجور » .

ما أصدق انطباقه على اللغة ، لولا أنه يسمى المشهور خطأ ؛ ويسمى المهجور صواباً ، فهذه التسمية لا تصح إلا من باب التجوز والتسمح ، فليت شعرى : أى خطأ فى لفظ شُهر ؟ وليت شعرى : أى صواب فى لفظ هجر ؟ إن الكاتب بقلمه والناطق بلسانه كلاهما ينقل ما يجول بفكره إلى فكر غيره ، فإن أداه إليه بلفظ يفهمه فقد نهض بمهمته مصيباً كل الصواب ، وإن صاغ فكره فى كلمة لا يجوز معناها إلى الأفكار فذلك هو الخطأ الذى لا شبهة فيه لصواب.

سواء على القارئ أو السامع أن تروعه بلفظ عربى نافر لا يجد له فى نفسه مدلوله الذى تبغيه منه ، وأن تفجأه بلفظ أجنبى مغلق ليس بعربى الأصل ، فاللفظان معاً عند ذلك القارئ أو السامع حروف مصفوفة أو أصوات متوالية لا يمتاز بها معنى ، ولا تنزل من الأفهام منزلة الإفهام .

وسواء على القارئ أو السامع إذا فهم المعنى المقصود من لفظ

مقروء أو مسموع أن يكون اللفظ فى حساب اللغوى المتفقه خطأ أو غير خطأ ، فحسبه من اللفظ أنه اضطلع بمهمته التى تخلق من أجلها الألفاظ مهمة إبلاغ المعانى إلى الأذهان ، وتأدية الأفكار بين الناس .

ربما كان لرجال الدين أن يقصروا حجة الإجماع فى الأحكام الشرعية على زمن بخصوصه ، وعصر بعينه ، ولكن رجال اللغة يجب أن يجعلوا حجة الإجماع فى الألفاظ والعبارات شاملة لكل عصر قائمة فى كل زمان . فلسنا ندين للغة بتقديس سماوى نستوحى منه الرهبة من الكفر والمروق . وإنما اللغة من خلق أنفسنا ، ومن صنع ألسنتنا ، وهى جانب من حياتنا ، يتجدد بنا ، ويتطور معنا ، ويسايرنا فيما نعالج من ضرورات وملابسات .

لا تفرض اللغة على الناس فى تحكم ، ولا يرادون عليها بالإلزام ، ولكن تنبع ألفاظ اللغة من حاجات العصر ، ومن واقع الشئون الاجتماعية فى حياة الناس ، فإذا بلغت الألفاظ عندهم مبلغ العرف الدارج ، والرأى المزكَّى ، كانت هى قانون اللغة ، عليها تبنى الأصول ، ومنها تتخذ القواعد ، وبها تقوم الأحكام .

فلنؤمن بأن السماع حجة للغة قائمة ، حتى لا نقف باللغة موقف

الجمود الذى يجافى طبع الحياة ، وليكن باب القياس مفتوحاً على مصراعيه ، حتى لا يمنع مانع من استنباط أقيسة جديدة فوق ما ورثنا من أقيسة صاغها الأقدمون .

(٢)

بيد أن مجتمعنا — مجتمع الناطقين باللغة العربية — فريقان : جمهور أمى عام ، يستقل بلغته العامية التى تتسع الهوة بينها وبين فصيح الكلام ، وجمهور مثقف خاص ، وهو مستمتع — أو على الأصح : مرزوء — بلغتين اثنتين تتنازعانه فيما يلفظ من قول وما يرسل من تعبير ، أعنى الفصحى والعامية ، أو لغة الكتابة والخطابة ، ولغة المشافهة والخطاب .

فإذا نحن أردنا لحجة الإجماع والسماع أن تظل قائمة ، لتوثيق الجديد من الألفاظ ، ولباب القياس أن يظل مفتوحا لاستقبال الجديد من الصيغ ، فلسنا بمستطيعين أن نعول فى ذلك على جمهورنا الأمى العام ، خشية أن تذوب الفصحى فى محيط اللهجات العامية التى لاضابط لها ولا نظام . ولكننا نستطيع أن نعول كل التعويل على الجمهور المثقف الخاص ، ذلك الجمهور الذى تستوعب طوائفه

وفئاته ضروب العلوم والفنون والآداب ، والذى تعلم الفصحى ، وأشرب ذوقها ، وأصبح قميناً أن تكون له ملكة الانتخاب والاختيار فيما يأخذ وما يدع من الألفاظ والعبارات .

هذا الجمهور الخاص المثقف ، الضارب فى كل علم وفن ، هو مرآة اللغة المجلوة ، وهو قوامها الركين ، فى شرايينه يجرى دمها الحى . وبه تتفاوت درجاتها من النماء والازدهار . فلو أغفلنا لغة الجمهور المثقف ، ووقفنا حيالها موقف التزمت والتحفظ ، لما رددنا تيارها الدافق . ولما أفدنا من شيء . فلهذه اللغة الغلبة والتسلط ، ولها الأمر آخر الأمر . فخير لنا أن نقف منها موقف عون وملاينة وتوجيه ، حتى ننفى عنها فى رفق ظواهر الجموح والانحراف ، ونردها جهد المستطاع إلى ما ينشد لها من فصاحة ونقاء .

والويل كل الويل للغة إن بقيت وقفا على علماء اللغة وفقهائها ، أولئك الدارسين لها فى أصولها الأولى ، وأوضاعها الأصيلة . لا يبيحون لها سيراً مع الزمن ، وانطلاقا فى ركب التطور . وتجدداً مع الأيام . يحسبون بذلك أنهم يصونونها من الفساد ، ويحفظونها من الضعف ، وليس فساد اللغة ولاضعفها إلا أن تتحجر فى مكامنها ،

فلا تملك أن تبين عما تجيش به الحياة العقلية والاجتماعية على مدى الزمن من أفكار وأحداث .

على أن ذلك الجمهور المثقف الخاص يتجلى في هذه الفترة من حياة مجتمعنا الحاضر ، معتزاً بالعربية ، جانحاً إلى الإفصاح ، عازفا عن العامى والدخيل فيما يتناقل من ألفاظ المعانى وأسماء الأشياء . وبين ظهرانينا مثل كثيرة واضحة الدلالة على أن هنالك وعياً لغوياً يجرى تياره بين المثقفين جميعاً ، ويبدو أثره فى المرافق الاجتماعية على وجه عام .

وحسبى أن أشــــير إلى ما يقرؤه الناس فى الطرقات من هذا التحذير فى شأن سياقة السيارات : « لا تستعمل آلة التنبيه » . فالهيئة التى أرادت أن تشيع هذا التحذير لم يرقها أن تستعمل الكلمة الأجنبية المعروفة ، وهى « الـكلاكسون » .

وكأنما تلافت هذه الهيئة أن تصدم الأعين بكلمة دخيلة . ورأت أن تستبدل بها كلمتين عربيتين تؤديان المعنى ، ولعل هذه الهيئة لم تقبل كلمة « النمير » لئلا تنصرف الأذهان إلى تلك الآلة القديمة التى تبعث الصوت ، وما تزال مستعملة إلى اليوم فى بعض

الشئون ، فاختيرت « آلة التنبيه » اصطلاحا جديداً « للكلاكسون » .

وأذكر فى هذه المناسبة أن إدارة من إدارات التشريع أسندت إليها صياغة بعض المواد الخاصة بأحكام الطيران ، صادفتها كلمة « الطاقم » للدلالة على مجموع الذين يضطلعون بالعمل فى الطائرة ، فلم تقع الكلمة موقع الارتياح من رجال القانون الذين يقومون بمهمة الصياغة ، فاستنصروا بعض رجال المجمع اللغوى ليسعفوهم بكلمة عربية تقوم مقام تلك الكلمة الدخيلة ، فظفروا منهم بكلمة ارتضوها وأحلوها من القانون محلها ، وهى كلمة « الزُّملة » .

ونظرة فى الصحف ترينا بوادر ذلك الوعى اللغوى : ومخايل ذلك التطلع إلى التزام الفصاحة ، فبينا نقرأ فى صحيفة من صحفنا اليومية هذا العنوان القديم : « بورصة العقود » إذا بنا نجد صحيفة أخرى قد عافت أن تستعمل كلمة « البورصة » وأبت إلا أن تستعمل كلمة « سوق » . وربما وردت الكلمتان فى صحيفة واحدة ، بل لقد وردتا يوما فى صفحة واحدة !... وذلك برهان الصراع الفكرى بين التغاضى عن الدخيل وإيثار الفصيح عليه .

ومما شهدته من أمثلة ذلك التقاتل والنزاع أن فندقين متقاربين

فى شارع واحد من شوارع «القاهرة» يتخذ أحدهما لنفسه اسم «فندق» وأما الآخر فيتخذ لنفسه اسم «لوكاندة» ، وأطرف من هذا أن إحدى الصيدليات فى حى من أحياء «القاهرة» اتخذت على جبينها لوحين كبيرين كتب على أحدهما : «أجزاخانة» وكتب على الآخر «صيدلية» . وليس فوق هذا دلالة على فورة التنازع بين إجراء اللفظ الدخيل الشائع ، واستخدام الفصيح وإن كان لم يبلغ من الشيوع ما بلغ الدخيل .

ومنذ قليل نشرت إحدى صحفنا إعلانا لبيع نوع من أشجار الكمثرى محصن ضد «الاسكارس» ولم يرض المعلن أن يذكر هذا اللفظ الأجنبى فى إعلانه ، فاختار له كلمة «الدودة الثعبانية» ... ولست أدرى أدله عليها دال من الباحثين المشتغلين بترجمة المصطلحات العلمية ، أم كان ذلك منه محض اجتهاد ؟ ولكنه على أية حال مظهر من الرغبة العامة فى أن تحل الكلمات العربية الصريحة محل الكلمات الأجنبية .

وقد طاب لى أن أبسط هذه الأمثلة ، لأنها شاملة تتصل بالجمهور العام فى حياته اليومية . فأما دليل الوعى اللغوى والنزوع إلى

الإفصاح بين ذلك الجمهور الخاص من طوائف المثقفين فى شتى العلوم والفنون والصناعات ، فما أحسبنى مفتقراً إلى الإشارة إليه . وأولئك هم المؤلفون والباحثون لا يألون جهـــداً فى ترجمة المصطلحات العلمية والفنية ، ملتمسين العون بكل سبيل ، إرادة السلامة من العجمة ، والخلوص من الابتذال ، والتعبير عن مواضعات العلوم والفنون تعبيراً عربياً لا شائبة فيه .

(٣)

وأهل صناعة الكتابة هم الذين يحملون القسط الأوفر من أعباء التخالف بين لغة الجمهور العام ولغة الجمهور الخاص ، ومن أثقال التنازع بين الأصيل والدخيل من الكلام . فالعالم والباحث فى منحى علمه وبحثه لا يجد من الحرج فى استعمال الكلمات الدارجة أو الأجنبية قدر ما يجد الكاتب فى آفاق موضوعاته . فالكتابة هى فن الأدب ، والأدب هو أرفع مقامات التعبير فى اللغة ، وهو المعرض الجميل لنقاء الألفاظ وجودة الأسلوب ، والكاتب هو الخليق بأن يحرص على الترف ، والسمو فيما يعبر به عن الخوالج والأفكار ، وما يصف به المشاهد والأحداث ، فإذا عرضت له المسميات التى لا يجد لها فصيحاً

شائعاً من الأسماء استشعر الضيق والحرج ، وتعذر على قلمه أن يجرى الكلمات العامية أو الدخيلة فى تضاعيف بيانه ، حتى لا تكون أشبه شىء بالنغمة الناشزة فى اللحن المتساوق . فالكتاب هم أكثر الناس طموحاً إلى أن يواتيهم الفصيح بما تعرض له حاجاتهم فى مواقف الكتابة والتعبير . ولعلهم يضطرون إلى التعميم فى مواقف التخصيص ، وإلى مجانبة التمييز والتعيين ، حين تستبد بهم الحيرة بين إجراء القلم بلفظ عامى أو أجنبى . واتخاذ لفظ فصيح ليس بمألوف أو ليس بمستساغ .

روى لى الراوى عن الأديب البليغ الشيخ «عبد العزيز البشرى» — رحمة الله عليه — أنه زار « بنك مصر » . فكتب متأنقاً يصف المبنى وما إليه ، واجتهد أن يعبر عن أرجائه وأجزائه بألفاظ من فصح العربية ، ولم يأذن لكلمة عامية أو دخيلة أن تشوب مقاله ، إلا كلمة « بنك » التى أفلتت منه فى عنوان المقال . فلما زار مصانع الغزل والنسج رغب إليه عشاق أدبه فى أن يكتب فى صفة هذه المصانع ، فوعد ولم ينجز ، وتمنى أن يستجيب ، ولكنه لم يفعل ، خشية ألا تواتيه الكلمات الفصيحة بوصف الآلات والعدد ! .

إن الكثرة الغالبة من ألفاظ الشئون العامة ما برحت أجنبية أو عامية . ومصداق ذلك أن نطوف بنظرنا فى حجرة استقبال ، أو فى أنحاء مطهى ، أو فى غير ذلك مما يتجلى على مسرح الأعين ، فسيستبين لنا أن الكاتب إذا تشهى وصف ما يرى ، لم يستطع أن يقع على تسميات عربية دقيقة ، فإن راج له الاسم العربى الدقيق منعه من استعماله أنه نافر مهجور .

ولكن الكاتب على أية حال مضطر أن يصف ما فى البيت وما فى السوق . وأن يتناول مايدور من أسباب العيش ، ومايستعمله الناس من الأدوات ، ومايتداولونه فى حياتهم اليومية من شئون . ولذلك يبذل الكاتب جهده ، ويعالج أمره ، فيتحيل ويتوسل ، ويتصاعب ويتساهل ، حيناً يصطنع الكلمة الفصيحة على حذر ، وآناً يقبل من الكلمات العامية ما ليس منه بد ، وساعة يتخذ له اصطلاحاً جديداً يرشحه للاستعمال . وهو فى قرارة نفسه مضطرب حيران ، يحاذر ألا يدرك مأربه من الإبانة ، ويخشى أن ينتقص حظه من الإفصاح .

وفى هذه المناسبة تحضرنى كلمة « البيجاما » اسما لذلك الطراز المعروف من ثياب المنزل ، فهذه الكلمة يسوغ لفظها على ألسنة الخلق ،

ولكننا لا نكتبها إذا كتبناها إلا كرهاً . لقد ضاق بها الأستاذ «إبراهيم عبد القادر المازنى» رضوان الله عليه ، وذلك على الرغم من انتصاره للعامية ، واستخدامه لجملة من تعبيراتها فى كياسة وتلطف . فكان إذا أراد التعبير عن « البيجاما » فى معرض بيانه ، استعمل كلمة « المنامة » ، ولقيت الكلمة نصيباً من القبول بين القراء ، فتناقلها الكتاب .

ما أكثر أمثال هذا اللفظ الأجنبى أو العامى فى لغة الناس ، وما أشد ما يعانيه الكاتب من مضاضة وتردد إزاء ذلك الركام الذى يزداد على الأيام ! .

لقد زاول مجمعنا اللغوى هذه الناحية ، وعالج فى مطلع جهوده أن يشق هذا الطريق ، وأن يقدم أسماء عربية لمسميات تتعلق بالشئون العامة ، فلم يكن إلا قليلا غناؤها . على أن بعضاً من هذه الأسماء كتبت له الحياة ، ولكن فى أفواه الساخرين ، وعلى أقلام المستهزئين . إذ وهم الناس أن المجمع الرسمى يريد أن ينتزع من الجماهير العامة لغتها الجارية على الألسن ، وأن يفرض عليها لغة جديدة ليس لها بها عهد . فثارت ألسنة الجماهير لما تألف ، وأبت

ما هو غريب غير مألوف .

ولكن مهمة المجمع تقتضيه ألا يبالى هذه الصيحات اللاهية التى تذبع كل إصلاح ، وتلاحق كل تجديد . وحسب المجمع حادياً له على المضى فى سبيله أنه يستجيب لتلك الروح التى تسفر عنها نزعات الجمهور المثقف إلى إيثار الكلمات الفصيحة ، وإمداده بما يحتاج إليه فى مجال التعبير ، تنقية للغة من شوائب العجمة والابتذال ، وتطويعاً لها فى سبيل الترجمة عن مظاهر الحضارة ومطالب الحياة .

فليمض المجمع فى دراسة ما يراه حقيقاً بالاستعمال من ألفاظ وأسماء فى مناحى الشئون العامة ، وليمدد بجهده الجماعى المؤزر أشتات الجهود الفردية التى يقوم بها الكتاب فيما يعرض لهم من ضرورات التعبير .

ولا خلاف على أن الرأى العام المثقف هو الحكم الأول والأخير فى شأن هذه الألفاظ والأسماء . فما يرتضيه منها يكتب له الشيوع والبقاء ، وما لا يستسيغه منها يسحب عليه ذيل العفاء .

ضبط الكتابة العربية

ما كاد يَبدأُ عهد التدوين العربيّ فى عصر الدولة الأموية ، حتى تَبَيَّنَ أن هذه الحروف العربية وحدَها ليست مُغنيةً فى ضبط الكلام . ولذلك أخذ الأمويون فى ابتكار علامات للضبط تُوضَع على الحرف ، نفياً للخطإ ، ورفعاً لِلَّبْس . هذا والأمةُ العربية فى جملتها يومئذٍ مستقيمةُ الألسن ، صافية السلائق ، فصيحة اللهجات .

ولقد بلغ من شعور الأقدمين بضرورة الضبط ، أنهم لم يكونوا يقتصرون على وضع العلامات المقرّرة ، بل لقد كانوا يَلْجَئُونَ إلى التعبير فى المواضع المهمّة للكلمات التى يَخشَوْن عليها الالتباس. فيكتبون مثلا أن الكلمة بفتح الحرف الأوّل وسكون الثانى وضم الثالث وكسر الرابع . وما بعثهم على ذلك إلا خوفُ التَّصحيف والتحريف ، بل لعلهم خَشوا أن تذهبَ علامات الضبط ، أوْ أن يستثقل النُّسَّاخُ نقلَها بالتعبير . وليس أبلغَ من هذا دليلا على رفاهة شعورهم بنقص الحروف العربية وحدَها فى الأداء ، وبقيام الحاجة إلى ضبط الكلمات ضبطاً لا لَبْسَ فيه .

فأما نحن فإننا فى مُسْتَهَلِّ نهضتنا الحديثة ، حين بدأنا نتخذ الطباعة وسيلة للتدوين ، اكتفينا بالحروف العربية عاريةً عن علامات الضبط للكلام .

فهل مبعث ذلك أننا عَدَدْنا أنفسنا عرباً أَقوى سلائقَ من العرب الخُلَّص فى العصر الأموى ، وأقدرَ منهم على ما يكْتَب بالحروف العربية غيرَ مضبوطة ؟

كلا ، فإنه لا خلاف على أن قراءة الكلام غيرِ المضبوط قراءةً صحيحة ، أمرٌ يتعذر على المثقَّفين عامة . بل إن المختصّين فى اللغة ، الواقفين حياتهم على دراستها ، لا يستطيعون ذلك إلا باطِّرَادِ اليقظة ، ومتابعة الملاحظة ، وإن أحداً منهم إذا حَرَص على ألا يخطىء ، لا يتسنَّى له ذلك إلا بمزيد من التأنى ، وإرهاف الذاكرة ، وإجهاد الأعصاب .

لم يكن مبعثُ اقتصارنا فى الطباعة على الحروف العربية دونَ ضبط أننا وجدنا فيها غُنْيَةً وكفاية ، وإنما كان مبعثه أن أوضاع الكتابة العربية يَصْعُبُ معها إدخالُ علامات فى المطابع ، فلم يُتَحْ لهذه العلاماتِ أن تأخذَ مكانها على الحروف

المطبعية إلا فى أحوال قليله ، وضرورات خاصة .

وكان فى مقدّمة هذه الضررات والأحوال بعضُ الكتب المدرسية الخاصَّة بمواد اللغة العربية ، مثل كتب النحو والمطالعة ، فطُبِعَت مشكولة لاستعمالها فى المدارس . ولكن كان لذلك أثر سيِّئ ، فقد أشاع بين المثقفين شعوراً نفسيًا نحو هذا الشكل ، شعورَ استعلاء عليه ، وأنفَة منه . إذ تَوَهَّمَ الكبار أن الضبط لا يكون إلا للصغار ، وأنه للتلامذة دون الأساتذة . وأن الكتب المدرسية هى وحدَها التى تظهر مشكولة ، وعارٌ أن تُضبَطَ الكتب التى توضع بين أيدى المثقفين الذين فارقوا مراحل التعليم ، فمن قَدَّم لمثقف كتاباً مضبوطاً فقد أساء الظنّ به ، وعَزَا إليه تُهمَةَ الجهل بأوضاع اللغة ، وقواعد النحو والصرف.

وجَلِىّ أن هذا الشعورَ النفسىَّ نحوَ الشكل شعور وهمى لا أساس له ، ولا حق فيه . فهو لون من ألوان الغرور يتواضع عليه الناس . وأولئك هم الناطقون باللغات الأجنبية من فَرَنْسِية وإنجليزية وطليانية وغيرها . لا يكتبون كلامهم إلا مضبوطاً أتمَّ ضبط ، ولغاتهم على وجهٍ عامّ لغاتُ كلامٍ وكتابةٍ معاً ،

فهم بها أبصر ، وهى عليهم أيسر ، وسلائقُهم فيها أدعَى إلى الاستغناء عن الضبط إن أرادوا أن يستغنوا عنه . ولكنهم يلتزمون الضبط فيما يكتبونه ، لا يعوّلون على علمهم باللغة ، ومَرانَتهم على القواعد ، وانسياقِ ألسنتهم إلى الصواب .

فأولُ ما يجب أن نؤمنَ به ، هو أن كتابتنا العربية غير المضبوطة ، كتابة ناقصة ، وأننا نعبر بها عن غرور نفسىّ ، وأن هذا الغرورَ يُخْفِى بين ثناياه عَجْزَ الغالب منا عن القراءة الصحيحة ، وَفْقًا لقواعد اللغة وأوضاعها . فنحن بهذه الكتابة نُرْضِى غرورَنا ، وإن كنَّا فى حقيقة أمرنا نخطىء فيما نقرأ غيرَ مبالين .

ولا غَرْوَ في أن يَعجزَ العامةُ عن القراءة الصحيحة ، وأن يجدَ الخاصَّةُ فيها صعوبة وحرَجا ، فقد ذهبتْ عن العرب سلائقُها الفصيحة منذ عهود وآماد ، وأصبحتْ اللغة تؤخذ تلقينا ، وتُكْتسب تمرينا . إذ استقرتْ لنا لهجة عامية يجرى بها على ألسنتنا مألوفُ الكلام ، وهذه اللهجةُ تجانبُ لغة الكتابة الفصحى في خصائصها الواضحة ، أعْنِي الإعرابَ وما إليه مما يقتضيه الاشتقاق وتصريفُ الألفاظ والصِّيغ . فأصبحْنا إذا أردنا أن ننطِقَ بما نكتب ، عانيْنا أن نُعْربه وأن نقوِّم تصريفَه معاناةً لا تخلو من تكلف ، ولا تَسْلم من تعَثُّر . ولذلك نجد المدرّسَ في مدرسته ، والمُحاضرَ على منصَّته ، والمتحدّث أمام المذْياع ، يستنجدون مُضْطرِّينَ بالوقف ، ويمتضغون بعضَ الصِّيغ فِراراً من كُلْفةِ الإعراب ، واتّقاءً للخطإ في تصريف الألفاظ .

وقد أدَّتْ هـــذه المصاعبُ التى يضِيقُ بها الناطقون

بالفُصحى ، أو الحرَصاء على النطق بها ، إلى المناداة بترك الإعراب ، واللجوء إلى الوقف . على أن الأخذَ بهذه الدعوة لا يرفع جملة ما هنالك من مصاعب ، فمن وراء الإعراب ضبط بِنْيةِ الكلمة ، فى أوائلها وأوساطها ، مما تقتضيه قواعد الصرف ، وسماع اللغة . فإذا نُودِيَ بأن نَنْفُض عن اللغةِ إعرابها وصرفها وضوابط كلماتها جميعاً ، فلا تسمية لذلك إلا أنه « انحلال لغوىّ » ، إذ هو يُفقِدُ اللغةَ مقوماتٍ من جوهرها الأصيل .

حقًّا لقد شاعتْ فى البلاد العربية بِيئةٌ ثقافية لها لغتها الفصحى ، وحقاً أن هذه البيئة لها منبعان فيَّاضان من المقروء والمسموع . ولكن هذين المنبعين لم يُغنيا أهلَ العربية شيئاً فى صحة القراءة . فإن المقروء عارٍ عن الضبط ، والمطالعون يمْضُون فى قراءتهم على غير هُدًى ، وأما المسموع فاللحنُ فيه شائع ، والخطأ كثير ، وربما كان ضرره أكبرَ من نفعه .

ولو كانت هذه البيئة الثقافية بِمنبعَيها الفيّاضين كافلة للقارئ والسامع ضبطاً صحيحاً للألفاظ والصِّيَغ ، لأدت لأهل العربية نفعاً عميما ، ولكانت بِذْرة مُخْصِبة لإثمار

سلائقَ سليمة .

وأكاد أقول بأن هذه البيئة الثقافية بما فيها من مقروء ومسموع ، لو شاع فيها الضبط ، لأصبحتْ أقوى أثراً من تلك البيئة البدوية التى كان الخلفاء والأمراء يبعثون إليها بأبنائهم فى فجر الإسلام وضُحاه ، لاكتساب العِصْمةِ من اللحن فى الإعراب ، والسلامة من الخطإ فى تصريف الكلام .

فلنتمثل فى خاطرنا أن الضبطَ قد شاع بين أهل العربية فى سائر ما تقع عليه الأعين ، وما تلتقطهُ الآذان : الطالبُ فى مدرسته من أول مرحلة فى حياته الدراسية إلى أن يتخرّجَ فى جامعته ، فى مختلفِ موادّ دراسته . والقارئ عامةً فيما بين يديه من الصحف والمجلات والكتب والنّشرات ، والأسرةُ كلها بمستمعٍ من المذياع — فلنتمثلْ فى خاطرنا أن هؤلاء جميعاً لا يقرءون ما يكتب لهم إلا مضبوطاً أدق ضبط ؛ ولا يسمعون ما يُلْقَى عليهم إلا مُعرَباً أصح إعراب ، ألا يكونُ ذلك سبيلا إلى طبْع الألسنة على صحة النطق ، وإكسابِها مَلَكةَ الإعراب ؟

لا ريبَ أننا أسعدُ حظاً من العرب فى العهود الغابرة ، فما كانت لديهم هذه الوسائلُ التى تسنَّتْ لنا الآن ، من مطبعةٍ تُخرِج الكتب والصحف على اختلافها فى سهولة ويُسْر ، ومن مذياع ينقلُ إلى الآذان ما تلْفظه الأفواه فى دقة ووضوح . فأين من هذه الوسائل الناجعة ما كان للعرب الأقدمين من وسائلَ محدودة وعَسِرة ، لَجَئُوا إليها لإشاعة الضبط والتعريف بالصواب ؟

ولكن وسائلنا على يُسرِها ، وقوة أثرها ، لم نُحْسن استخدامها ، فلم تُفِدنا شيئا . وذلك لأننا لم نلتزم ضبطَ الكلام فيما نؤلف من كتب ، وما نُصْدِر من صحف ، وما نَلْفِظُ من قولٍ فى المذياع .

فما علةُ إمساكنا عن إشاعة الضبط ؟

وماذا يُحجم بالمطابع عن إدخال الشكل باعتباره عنصراً أصيلا فى الكلام ؟

لعل أكبر البواعث فى ذلك أن المطبعة العربية بدأتْ كما بدأت الكتابة العربية نفسُها ذاتَ حروف غيرِ مشكولة ، فأصبحتْ على هذا الوضع مألوفة جارية . فلما أُريدَت المطبعة على إدخال الشكل ضاقتْ به ذرعا ، ووجدتْه ضيفاً عليها ثقيلا ، ولم تَرَ فيه إلا واغلا دخيلا . فقد أخذتْ الكلماتُ فى كتابتها أوضاعا من التركيب لا تحتمل وقوعَ هذه الشَّكلات عليها .

وعلى الرَّغم مما بذله أهل فنّ الطباعة من محاولات فى معالجة الموضوع ، وما بلغوه من إخضاع حروف الكلمات لمواقع الشكل ، فإن الضبطَ فى الحرف المطبعىّ مازال يُثْقِل الكلماتِ من كلِّ جانب ، ويجعل البصر يَزيغُ فى تَصَيُّد ما فوقَها وما تحتَها من حركات . وذلك إلى جانب أن تصحيحَ هذا الشكل

فى تجارب الطبع عسير جدّ عسير ، وأنّ الخطأ فيه على فرط العناية به كثير جدّ كثير . ولذلك لا ترضى بإجراء الشكل فى الكتب إلا بعضُ المطابع الخاصة . وإنما لتتقيم لهذا الإجراء أكبرَ الوزن ، وتحسبُ له أكبرَ الحساب ، طوعاً لما يتطلّب إدخالُ هذا الشكل من جهدٍ وعنتٍ فى صفّ الكلام طوراً ، وفى تصحيحه طوراً .

فكيف السبيلُ إلى حلّ هذه المشكلة ؟

لقد تناولها بالبحث كثير من ذوى الرأى ، وأعلنوا ما بدا لهم من مقترحات وحلول . وإنى لأحْسَبها ترجع إلى مَناحٍ ستة :

(أ) المنحَى الأول : هو اتخاذ الحروف اللاتينية ، وقد آثرتُ أن أبدأ به تحيةً لأستاذنا صاحب المعالى « عبد العزيز فهمى باشا » متّعَه الله بالعافية . نادَى بهذا الحلّ فى بيان لا أَعُدُّه إلا وثيقة تاريخية من أنفس وثائقنا التى تعالجُ مشكلاتنا الثقافية . وقد تكفل معاليه ، فيما أفاضَ فيه من بيان ، بتجليةِ مَا يرِدُ على هذا الحلّ من مختلف الاعتراضات ، وعَقّب عليها ما شاء أن يعقّب بالردّ والتفنيد . فلم يَدَعْ فى هـــذا المنحَى زيادة لمستزيد . ومُجْمل ما رأى معاليه أنه لجأ إلى المناداة باتخاذ الحروف اللاتينية بعد أن بحث عن طريقة لتيسير الكتابة العربية مع استبقاء حروفها الحالية ، فلم يَظفَرْ بتحقيق هذه الأمنية

المحبَّبة لنفسه ولأنفُس أهله وأهل العربية . ولذلك لم يجد بدًّا من اختيار هذه الحروف اللاتينية التي شاعتْ في أكثر لغات العالم . فهي وسيلةُ تقريبٍ بين الأمم ، وهي مع ذلك قد مُورِستْ في الطباعة ، واكتسبت مَرَانةً في الاستخدام ، وأثبتت قدرتها ويسْرها في ضبط كتابة اللغات الأجنبية . وقد اتخذها معاليه أساساً لطريقته ، ولكنه أدخل عليها من ضروب التعديل ما يناسبُ ضبطَ الكلام العربيِّ على أدق وجه ، بحيث تجعلُ كل حرف في الكلمة يدل بذاته على صورته الصوتية دلالةً صادقة لا لبس فيها ولا انبهام .

(ب) والمنحَى الثاني : هو اختراع حروف جديدة تَحلُّ محلَّ حروفنا العربية ، ذاتِ علامات للضبط ملائمة لها . وقد تكاثر الواردون على هذا المنحَى من الحلول ، وتراحبتْ مراميه للفنانين ، يبتكرون ما يُوحِي إليهم التصوّر والتفكير ، ويقترِبون أو يَبْعُدون عن صُوَر الحروف العربية القائمة ، وربما كان في ألوان هذه الحروف المخترعة ما يتوافرُ له الجمالُ والاختصارُ ، والسهولة واليُسْر ، وسائر المزايا التي لا تتوافر

للحروف العربية أو اللاتينية جميعاً . فما على المخترعين من سبيل ، وإن المجالَ أمامهم لطليق ، يتيحُ لهم حرّية الإنشاء ، ولا يقيم حيالهم عقبةً مما هو قائم عتيد . ولكن الأخذَ بحروف مخترعة لا عهدَ بها لأحد ، أمر يتطلب من رحابة الصدر ، وشجاعة النفس ، ومن الاستعداد لقبول الجديد الغريب أكثر مما يتطلب الأخذ بطريقة الحروف اللاتينية . لأن التبنيَ للحروف المخترعة التي لم تثبُتْ لها كفاية ، ولم تُعرَفْ لها مَرانة ، أَشقُّ كلفةً من اقتباس حروف متعارفة ، ثبتت كفايتها في الأداء ، وكُفِلتْ مَرانتها في العمل .

(ج) وثالث المناحي الإبقاء على الحروف العربية القائمة ، مع اختراع علامات للضبط يلاحَظُ في اختراعها أن تكون ميسورةً على المطابع ، واضحة للقارئ ، فتُلحَق هذه العلامات بتلك الحروف .

ولاريبَ أن حروفنا العربية إذا لحِقَتْ بها تلك العلامات ، أفقدَتها صورتَها المألوفة ، وأفاضتْ عليها مَسحَة من التنكير والغموض .

فهذا المنحَى يلتقى هو والمنحَى الأول والثانى معاً فى ضرورة الاتفاق بادئَ بَدءٍ على أن ننزلَ عن حروفنا العربية فيما ألِفْنا من صورها، وما عرفنا من علامات ضبطها .

(د) وأما المنْحى الرابع فهو الإبقاء على الحروف العربية وعلامات ضبطها، على أن تُصَبَّ علامة الضبط مع الحرف فى بِنْيَة واحدة، حتى لا تحيدَ عنه، ولا تُفْلِتَ منه . فتبدو الحروف المطبعية معها ضبطُها متصلا بها، ليس بينهما من تفَاوُت .

وهذا المنحى تقوم فى وجهه عقبتان، كلْتاهما كأداءُ، أُولاهما فنية، والأخرى اقتصادية . فإن صُندوقَ الحروف العربية فى أوضاعها القائمة كثير الصور، يَعْيَا به الصَّفَّافون، إذ يبلغ أكثر من ثلاثمِائةِ عين، ولو أُضيفَ إلى الصندق صور جديدة من الحروف عليها علاماتُ الضبط على اختلافها، لازداد جهد القائمين بصفِّ الكلمات أضعافا مضاعفة، ولاستَنفد من أوقاتهم بضعةَ أمثال ما يستنفدون الآن . فهذا المنحَى مَدْعاة لكثرة التكاليف، مضْيَعة للوقت، مجلبَة للعنَت . ولذلك

لا يقبل تنفيذه الطابعون ، ولا يرضى به الناشرون . ولا سيما في عصر طابَعُه السرعة والتيسير ، طابعُه اكتسابُ الزمن ، واقتصاد الجهد ، والتهوين من النفقات .

(هـ) وثمَّة منحى خامس ، وهو وضع علامات الضبط بجانب الحروف ، منفصلةً عنها ، كالشأن في الحروف اللاتينية ، لا كما توضع العلامات الآن فوق الحروف أو تحتها .

وهذا الحل يقتضي أن تتغيَّر أوضاع الكتابة العربية في تركيب الكلمات ، لكي يكون بعد كل حرف مُنْفسَح تحلُّ به علامةُ الضبط ، وأن يُفصَل بين حروف الكلمات بهذه العلامات . وإذن تبدو صور الكلمات فيها تنكير ، وفيها نُبُوٌّ عن المألوف . يضاف إلى ذلك تفويت مزية الاقتصاد في حجم الكلمة ، فإن الفصلَ بين حروفها بعلامات ضبطها يضاعف حَجْمَها .

(و) وخاتمةُ المناحي الستة هو الاقتصارُ على الحروف المنفصلة ، تسهيلا لوضع علامات الضبط عليها ، وتخفيفاً على صندوق الحروف في المطبعة العربية .

وفى هذا المنحى تضامنٌ من جهات مختلفة . فهو أولا : يزيدُ فى المحيّز المقسوم للكلمات ؛ وهذا تفويت لمزية الاقتصاد . وثانياً : لا يخلو من خفاء الكلمة أولَ وهلة ، لافتراق حروفها . وثالثاً : يقتضى يقظة ورعاية للفصل بين كل كلمة وكلمة ، ولو وقع التهاونُ فى هذا الفصل — وهو واقع لا أمانَ منه — لاختلطت حروفُ الكلمات بعضها ببعض ، ولتعذّرَ على القارىء أن يميّزَ كل كلمة فى جملتها ، ويفرّق بينها وبين الكلمة التى تتلوها .

وجملةُ ما نادَى به المنادون من المُـقْـتَـرحات ، سواء ما كان منها ُيشِـيد باتخاذ الحروف اللاتينية ، وما يَتـخِـذُ للكتابة حروفاً مخترعة ، وما يقتضى إدخالَ علامات أو أوضاع جديدة للحروف أو الحركات — جملةُ ذلك كلّه لم يسلم من النقد والاعتراض . وكان أكبر ما يثيره النقاد والمعترضون من مآخذَ أن هذه المقترحات المعروضة لتغيير الكتابة العربية تقطع الصلة بين القديم والجديد ، فإذا أخذ الناس بإحدى هذه الطرائق ، وكتبوا بها ، عَجَزوا عن أن يقرءوا ما تركه لنا الأولون من ُتراثٍ ثقافىّ عريض ، وَحِيلَ بين الجيل الجديد وبين الانتفاع بذلك التراث الذى لا تَـزْهَـدُ فيه الأمة العربية بحال .

والحق أن الاعتراض بالقطع بين القديم والجديد دعوى لا تخلو من ُغلُـوّ فى القول ، وإسراف فى التصوّر . فإن أيةَ حروف ، بل أية علامات وإشارات ُتكْـتَـب بها اللغة العربية لا تقطع بين قديم اللغة وجديدها ، ولا تفصِل بين ماضيها

وحاضرها . بل لعل حروفاً مقتبَسة أو مختَرَعة تُكتب بها اللغة العربية تكون سبيلا إلى إحياء اللغة وتيسير اكتسابها ، ما دامت هذه الحروف المقتبَسة أو المختَرعة أدقَّ ضبطاً ، وأدنَى تناولا . فإنها بهذا الضبط وقُرب التناول تجعل المتعلمين أقدرَ على القراءة ملكة ، وأقومَ لساناً ، وأفصح بياناً .

وعلة إثارة النقاد والمعترضين لدعوى القطع بين القديم والجديد ، أنهم يَخشَوْنَ إذا اتخذَتْ حروف مقتبَسة أو مختَرَعة أن تظلَّ المؤلفات العربية التى توارثناها على توالى الأحقابِ مُستَغلِقَة مستَبهِمةً لا يَمسها قارئ . وبذلك تَفْقِد الأجيال اللاحقة ما خلَّفَتْه الأجيال السابقة من عُصارات القرائح والعقول .

ولكن الحق أن جيلاً جديداً إذا شَبَّ عربيًّا فى منطقه ، بأية علامات ، فتمكن من قراءة الكلام العربىّ مضبوطاً أدقَّ ضبط ، مُعرَباً أصحَّ إعراب ، واكتسب بذلك مَلَكَةَ الإفصاح — فإن هذا الجيلَ الجديد لا يُعجِزُه بعدئذ أن يرجعَ إلى المؤلفات التى كُتِبَتْ بالحروف العربية القديمة ،

وأن يقرأ ما فيها من بيان ، وينتفعَ بما حوت من علم وأدب ، وذلك إذا أنفق القليل من الساعات فى تعلمّ صوَرِ الحروف العربية القديمة ، باذلاً فى هذا السبيل أيسرَ جهد .

ولا ريب أن كلَّ امرئ فى مُكْنَتِه تعلُّمُ الصور الخطّية لثمانية وعشرين حرفا ، أيّةً كانت ، فى ساعات معدودات ، وبجهد غير محسور .

ولو قُدِّرَ للأمة العربية أن تتواضع على اقتباس حروف أجنبية ، أو اختراع حروف جديدة ، لوجب مع ذلك أن نُلْزِمَ الناشئة تعلُّمَ تلك الصور القديمة للحروف العربية . حتى إذا شَبُّوا وقد انقادتْ اللغةُ لألسنتهم ، ومَرَنوا على ضَبْطِ نطقها ، وأحسَنوا تصريفَ كلماتها ، وأمِنوا من اللحن فى إعرابها — استطاعوا بمعرفتهم حروفَ العربية القديمة أن يطالعوا ما شاءوا من تُراثِ السَّلف ، ولا سيما المراجعُ الكبيرة ، وأمهاتُ الكتب ، فى فروع العلوم والفنون والآداب .

وستظل الحاجة إلى تعلم الحروف العربية القديمة قائمة ، حتى يتسنىّ لنا أن نعيدَ طبع هذه المراجع وأمهات الكتب بالحروف

التى نتواضع عليها . وستقل وطأة حاجتنا إلى هذه الحروف كلما مضينا أشواطاً فى طبع تلك الكتب والمراجع . ولكنّ قدراً من هذه الحاجة سيبقى قائماً وإن أعدنا طبع مئات من المؤلفات ومئات .

ومن هذا يتبيَّن أن تواضُعَنا على أية حروف لكتابة اللغة العربية ، لا يقطع الصلة بين قديمنا وجديدنا فى ميدان التأليف . فالصلة باقية ، وربما بَقِيَتْ على نحوٍ أوثق مما هى الآن . وغايةُ ما هنالك أن الأمر يقتضينا معرفةَ حروف العربية القديمة ، فإذا عرفناها وَضَحَ لنا الطريق إلى مَنْهَل التراث العربىّ . نَعُبّ منه ما وسعَنا أن نعبّ . لا يَصُدنا عنه شىء .

بيْدَ أن هذا المنطقَ الذى نراه واضحاً كل الوضوح . لا يصرفنا عن أن نسأل أنفسنَا :

أنريد الحقائق النظرية ، أم نريد الواقع العمليّ ؟

إن كنا نريد النظريات ، فمجال القول ذو سعَة ، وميدان الاقتراح رحيب الجنبات ، تتنافس فيه الأذهان .

وأما إن أردنا الواقع الملموس ، فيجب أن نصارح أنفسنا فى غير مواربة ولا مِراء .

لغتُنا العربية فى جوهرها ومظهرها ليست مِلكاً لوطن وحدَه ، ولا هى مقصورة على دولة بعينها ، ولكنها شركة بين طائفة من الأوطان والدول . وجلىٌّ غاية الجلاء أن هذه الطائفة التى تضم بين جوانحها الأمةَ العربية كلها يجرى فيها اتجاه واضح إلى الإبقاء على الكتابة العربية القديمة والتَّهيُّبِ للعدول عنها ؛ وإن كان الرأى العام فى الأمة العربية كلها يؤمن بقصور تلك الكتابة عن الوفاء بحاجات الضبط ،

ويُعَاني من صعوبتها ما يعانيه .

ثمَّة عامل نفسي يسري بين جوانح الأمة العربية ، مَنْ أغفله لم يأمن الشطط . فإن جماهيرنا في نهضتنا الحديثة التي تقوم على أساس الحضارة الغربية الراهنة ، تتملكها نزعةُ المبالغة في الحرص على مشخِّصاتها القومية ، وهذه الجماهير — في شديد حرصها ذلك — تتوهم أن حروف كتابتنا العربية إحدى هذه المشخِّصات ، فإن نبذَتها كان ذلك إمعاناً في التطرف وهدماً للمأثور ، وتفريطاً في الجانب القومي العزيز .

وعلى الرغم من أننا طلاّعون في نهضتنا إلى الأمام ، آخذون من الحضارة بكل الأسباب ، فإن جماهيرنا تلك ما برحتْ تحتَ وطأةٍ من تقديس التقاليد المتوارثةَ ، تضَنُّ ما وسعها الضَّنُّ بالنزول عن شيء من شئون حياتنا الاجتماعية وإن كان من الظواهر والقشور .

والحروف العربية القديمة ، وإن كانت لا تزيد على أنها أداة تصوير ، وليست هي من جوهر اللغة في قليل ولا كثير ، فإنها قد اتخذتْ في أوضاعها القائمة ، مَسْحة من التقديس ، لشدَّة

الألفة بها ، وطول العهد معها ، وجلال القِدَم فيها . ولذلك لا يُحسبُ كل تغيير يَلحق بها إلا استخفافا بشيء تحيط به هالة من المهابة والإكبار .

وإذن فهذا العامل النفسيّ المتأصِّل ، هو الذي يقف عقبةً في سبيل ما ينادي به المفكرون وذوو الرأي ، من اتخاذ حروف جديدة مقتَبسَة أو مخترعة لكتابة العربية .

ولا خلافَ على أن العوامل النفسيَّة التي تستقر بين جوانح الأمم لا تسقُط جملةً بقوة منطق ، وروعة دفاع ، وحُجَّة إقناع . وإنها كذلك لا تسقَط بظهور مَضرَّة ، واستبانة نفع . فإن للعوامل النفسية أسبابها وملابساتها ، فإذا زالتْ هذه الأسباب والملابسات رُويداً زالت معها تلك العوامل رُويدا ، وليس كالزمان دواءً لها وعلاجا .

هيهات أن يُفرضَ اقتراح جديد للكتابة بقانون ، وهيهات أن يُلزَمَ الناس به إلزاما بإقناع ، وكلُّ محاولة تُجافي المجرى الطبيعيّ لتطوّر نفسية الأمم مكتوب لها الإخفاق . فمن حقّ الأمة العربية علينا أن نسايرَ في عهدها الحاضر رأيها العام ، وأن

نسوس هذا الرأى فى حكمة وأناة ، حتى يتعين وقت تهيأ النفوس فيه لقبول الجديد .

فالإجراء الذى يمكن أن تكفل له قبول الأمة العربية فى جملتها ، هو أن يكون لمشكلة الكتابة العربية حل لا تتغير به الحروف القائمة ، ولا تتنكر معه صورتها المألوفة .

ومتى اتسق لنا تحقيق رغبة الرأى العام فى استبقاء القديم ، فإن الناس جميعاً يرحبون بما تتخذ من وسيلة لتذليل المصاعب التى تعترض حل تلك المشكلة فى ميدان الطباعة .

وقد حدانا هذا على أن نعرضَ طريقة تقوم على أساس الكتابة العربية فى أوضاعها الراهنة ، بَيْدَ أننا ننفى عنها ما كان عائقاً عن إدخال علاماتِ الضبط فى الحروف المطبعية .

إن صندوق الحروف فى المطبعة العربية يحمل لكل حرف صوراً متعدِّدة ، منها المفرد ، ومنها ما يقبل الاتصالَ بحسب أول الكلمة ووسطها وآخرها ، وبحسب وقوع الحروف فى بِنْيةِ الكلمة المركبِ بعضها فوق بعض . ولذلك اتسع صندوقُ الحروف من ناحية ، فتعذَّرَ أن يحتمل معه صندوقا آخر لعلامات الضبط . وتركبَتْ الكلمة من ناحية أخرى ، فأصبح وضعُ علاماتِ الضبط عليها غيرَ دقيق . وهذا كله هو سر استثقال علامات الضبط ، وإخفاقِها فى أداء مهمَّتها ، وهو العقبة فى سبيل استعمالها فى الكتب التى تخْرِجها المطابع .

وإنى أرى أن نقتصر من صوَر الحروف على صورة واحدة ، وبذلك يكونُ لصندوق الحروف المطبعية عيون لا تتجاوز الثلاثين عَيْناً ، فنتخفف من تلك العيون التى تزيد

على ثلاثمائةٍ ، وأن نتخذَ علامات الضبط المتعارفةَ التى يجْرى بها الاستعمال . وسيرحِّبُ بها الصندوق الذى تخفَّفَ مما كان يغَصُّ به من الصُّوَر المتعددة للحروف الأصلية ، وانفسحتْ جوانبه لتقبل هذه الحركات فى غير مشقة ولا عُسْر . وطَوْعاً لهذا يتوافر للطباعة غُنْمٌ من السهولة والتيسير ، كما يتوافر للكتابة غُنم من تعميم الضبط بلا عناء .

وأقترح أن تكونَ الصورةُ التى نقتصر عليها من صور الحروف ، هى الصورة التى تقبل الاتصالَ من بدْءِ الكلمات ، وهى التى يسميها أهلُ فنِّ الطباعة : حروفاً « من الأوّل » . على أن تُؤثَرَ الكاف المبسوطةُ ، وتظل حروف الألف والدال والذال والراء والزاى والواو والتاء المربوطة واللام ألف باقيةً على صورتها فى حالة إفرادها .

وأكبر ظنِّى أننا لو أخَذْنا بهذه الطريقة ، لحللْنا مشكلةَ الكتابة العربية الآنَ على نحوٍ لا يثير اعتراضاً ، ولا يتطلب تهيئة الأذهان للرِّضا بتغيير طارئ ، وإقناع الرأى العامِّ بقبولِ شيءٍ جديد .

وعندى أن هذه الطريقة تتحقَّقُ بها المزايا الآتية :

أولا :

أنها تنفى شبهة القطع بين القديم والجديد ، فالحروف هى الحروف المعروفة ، وعلامات الضبط هى القديمة المألوفة .

ثانياً :

أن الحروف ستكون واضحة لاخَفاء بها . فهى غير مركّبة بل مبسوطة ، يُعْرِبُ فيها كلُّ حرف عن صورته فى تميز واستقلال .

ثالثاً :

أن علامات الشكل ستقع على الحروف بأعيانها ، تأخذها الأنظارُ باللمح ، فلا تترجَّح العلاماتُ بين الحروف المركبة فى الكلمة الواحدة . إذ أن كلَّ حرف رحْبُ الصدر لما يقع فوقَه أو تحتَه من علامة الشكل ، وبذلك تأمن العلاماتُ من التزحزح ، وتَسْلم من التعرُّض للخطإ والاضطراب .

رابعاً :

أن اتخاذ صورة واحدة للحروف فى جميع مواقعها من الكلمات،

أولا ووسطاً وآخرا ، سيجعل تعليمَها أيسرَ مَئُونة ، لأننا لا نرُوع المتعلمين بالحرف الواحد متعدِّد الصور ، مختلفاً فى حالة إفراده عنه فى أحوال تركيبه . ولذلك أثره فى تعليم القراءة للناشئين ، ومكافحة الأمية على وجه عام بين الأهلين .

خامساً :

أن المصاعب التى تتجشَّمها المطبعةُ الآن لا يبقَى لها محل . فإن صندوق الحروف سيتحرَّر من أكبر ما يُثْقِله ، فإذا أضفْنا إليه علامات الشكل لم يضِقْ بها جميعاً ، وسيصبح ذلك الصندوق الذى يحوى الحروفَ وعلاماتِ ضبطها جميعاً لا يزيد على خمسين عيناً ، على حين أن صندوق الحروف غيرِ المشكولة فى حالتها الراهنة المتعدِّدة الصور يُرْبى على ثلاثمائةٍ .

سادساً :

أن وقت العمال الذى كانوا يُنْفِقونه فى اجتلاب صور الحروف على اختلافها سيتوافر لهم ، فينفقون القليلَ منه فى اجتلاب الشكل . وسيصبح صفُّهم لكلمة مشكولة يتطلبُ من الوقت والجهد أقل مما كان يتطلب صَفُّ كلمةٍ لا شكلَ فيها .

سابعاً :

أن اجتنابَ التركيب فى الحروف سيجعل الكلمات مبسوطةً ذاتَ أفق أقلَّ انخفاضاً من الأفق الذى تقتضيه الكلماتُ المركبة الحروف ، فتزداد السطور فى الصحيفة ازدياداً يعوضها مما يستلزمه انبساطُ الحروف من اتساع الحيز .

ولقد رغبتُ إلى المطبعة فى أن تستنَّ هذه الطريقةَ فى صف جملةٍ من الكلام ، فلمَ تعْـىَ بذلك ، وأثبتت التجربةُ أن الطريقةَ لا تعترضُها فى العمل عقبات ، مع أن المطبعة اعتمدتْ فى إنجاز ذلك على صُندوق الحروف الذى يجرى به الاستعمال الآن .

ولو أن هذه الطريقة لقيَتْ حـظًّا من القبول ، ووُضعَتْ موضع التنفيذ ، لتوقعْنا أن يزوّدَها أهل الفن فى مسابك الحروف بما يوحى به وَضْعُها الجديد ، وأن يزيدوها تجميلا ، ويضيفُوا إليها من ألوان التعديل والتنسيق ما يجعلها أدقَّ أداءً ، وآنقَ منظرا ، وأدنى إلى الرضا والاستحسان .

بَقِيَ أن نَعْرِضَ لشيء لا نجد سبيلا إلى أن نضرِبَ عنه صَفحا . ذلك هو أن لمشكلةِ ضبط الكتابة جانباً غيرَ الجانب المطبعي الفني الذى تَحُلهُ هذه الطريقة .

إن المُطالبةَ بضبط الكتابة أمر تعترضُه مصاعبُ يتبَرَّمُ بها الكاتبون . فإننا إذا رَغِبْنا إلى كل كاتب أن يقدم ما يكتبه إلى المطبعة مشكولا على وجه الدقة ، استشعرَ من ذلك عنَتَاً ، ولاقى فى سبيله رَهقا . أليس هو مُطالَباً بأن يَتحرَّى الصوابَ فى الضبط ؟ وهل يَتَسَنَّى لكل كاتب أن يُحْسِنَ ضَبْطَ ما يكتب؟ أوَليس ذلك يقتضى بصَراً باللغة ، وإتقاناً لقواعد النحو والصرف، حتى لا يكون الضبط سبيلا إلى إشاعة الخطإِ من حيثُ نبتغى إشاعة الصواب ؟

ولكن هذا الذى نتوقعه ونخشاه من شيوع الخطإ إذا أُريد الكاتبون على ضبط ما يكتبون ، دليل أسطع دليل على أننا تُعْوِزُنا المَرانة على سلامة النطق وصحة الإعراب ، دليلٌ أسطعُ دليل على حاجتنا القُصْوَى إلى تعميمِ الضَّبط فى الكتابة .

على أن لكلِّ تغيير طارئ مصاعبَه الأولى ، ولكل إصلاح

عثراتِه فى فواتحِ الطريق ، حتى يستقِرَّ الأمر ، وتستتِبَّ الحال.
فلا رَيبَ فى أنا حين نأخذ أنفسنا بضبط ما نكتب سيَشِيع
بيننا خطأ كثير ؛ إلا أن هذا الخطأ سيقِلّ ويضمحلّ على تَوالِى
الزمن ، وَفْقًا لِتَتَبُّعِ النقَّاد ، والرغبةِ فى تَوَخِّى الصواب.
ولا ريبَ كذلك فى أن الأمر سيقتضى تخصيص طائفة من البُصَراء
باللغة للإشراف على كل ما تُخْرِجُه المطابع من كتب
وصُحُف ومجلات ، حتى تبرأ من اللحن والخطإ فى ضبط الكلام .

وَمَرُّ الأيام كفيلٌ بإنشاء جيل جديد من الكتَّاب
والمؤلّفين يَستغنُونَ بقدر كبير أو صغير عن معونة المراجِعين
والمصححين . وهذا الجيل ناشىء حتما متى شَبَّ على قراءة ما يقرأ
مضبوطاً أتمَّ ضبط ، إذ يتعوَّد سلامة النطق ، وتستقر فى أذهانه
صِيَغُ الكلمات والجمل مضبوطةً مُعْرَبة ؛ فيكتبُها كما ألِفتها
عينهُ ، ويتلفَّظُ بها كما سَمِعَتها أذنه . وبذلك يقتطف ثمرةَ
النحو والصرف ، دون تخصص فى تعلم النحو والصرف. شأنُه فى
ذلك شأنُ الشاعر المطبوع حين يَنظِم صحيحاً لا خَلَلَ فيه ، طَوْعاً
لِمَا أَدْمَنَ من قراءة الشعر ، ولو لم يعرفْ من عِلم العروض شيئاً .

وعلى الرَّغْم من أن هذه الطريقة التى نراها حَلاًّ للمشكلة الفنية المطبعيَّةِ فى ضبط الكتابة ، طريقةٌ ميسورة ، لا تقف فى سبيلِ تنفيذها عَقَبة ، فإننا لا نستطيع أن نلْزِمَ بها الأمة العربية إلزاما ، ولا أن نفرِضَها على المطابع فرضا . ولكن يجب أن ندعُوَ إليها دعوة عملية طبيعيّة تُزكّيها عند الناس ، وتحُدُوهم على اتخاذها بالطَّوْع والاختيار .

ولعل أهدَى سبيل إلى تحقيق تلك الدعوة هو أن تلتزم وزارةُ التربية والتعليم طَبْعَ كتبها التعليميةِ فى مختلفِ الموادّ والمراحل ، وافيةَ الشكل ، صحيحةَ الضبط ، بهذه الطريقة الهَيِّنَة الميسورة . ولن تجدَ الوزارة فى سبيل ذلك ما كانت تجدُ من مصاعبَ فنية ، وعقبات مطبعية ، حالتْ بينها وبين تعميم الشكل فى كتب التعليم .

فإذا ألزمتْ وزارة التربية والتعليم نفسَها بهذا الإجراء ، كان ذلك حافزاً على اتخاذ تلك الطريقةِ فى مُحيط الجمهور .

وسينشأ تَبَعًا لذلك عامل نفسيّ لتأييد تعميم الضبط في سائر المطبوعات ، هو عامل التأسّي والاقتداء ، عامل التنافس في إظهار القدرة على إخراج كتب مشكولة ، تشبُّهاً بما تُخرج وزارة التربية والتعليم من كتبها في شتّى موادّ العلوم والفنون والآداب .

ويومئذ يتحقّق غرض منشود ، سَعَى إليه « مجمع اللغة العربية » ، وابتغى إليه الوسيلةَ ما وَسِعَهُ أن يبتغِيَ ، ذلك هو تعميمُ الضبط في الكتابة العربية على نحو ميسور .

صَحِيفَةُ ٱلْمِثَالِ

أَرَى أَنْ نَقْتَصِرَ مِنْ صُوَرِ ٱلْحُرُوفِ عَلَى صُورَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَبِذٰلِكَ يَكُونُ لِصُنْدُوقِ ٱلْحُرُوفِ ٱلْمَطْبَعِيَّةِ عُيُونٌ لَا تَتَجَاوَزُ ٱلثَّلَاثِينَ عَدًّا . فَنَتَخَلَّصُ مِنْ تِلْكَ ٱلْعُيُونِ ٱلَّتِي تَزِيدُ عَلَى ثَلَاثِمِائَةٍ . وَأَنْ نَتَّخِذَ عَلَامَاتِ ٱلضَّبْطِ ٱلْمُتَعَارَفَةَ ٱلْجَارِيَ بِهَا ٱلِاسْتِعْمَالُ ، وَسَيُرَحِّبُ بِهَا صُنْدُوقُ ٱلْحُرُوفِ ٱلَّذِي تَخَفَّفَ مِمَّا كَانَ يَغَصُّ بِهِ مِنَ ٱلصُّوَرِ ٱلْمُتَعَدِّدَةِ لِلْحُرُوفِ ٱلْأَصْلِيَّةِ وَٱنْفَسَحَتْ جَوَانِبُهُ لِتَقَبُّلِ هٰذِهِ ٱلْحَرَكَاتِ فِي غَيْرِ مَشَقَّةٍ وَلَا عُسْرٍ . وَطَوْعًا لِهٰذَا يَتَوَافَرُ لِلطِّبَاعَةِ غُنْمٌ مِنَ ٱلسُّهُولَةِ وَٱلتَّيْسِيرِ .

كَمَا يَتَوَافَرُ لِلْكِتَابَةِ غُنْمٌ مِنْ تَعْمِيمِ ٱلضَّبْطِ بِلَا عَنَاءٍ .

وَأَقْتَرِحُ أَنْ تَكُونَ الصُّورَةُ الَّتِي نَقْتَصِرُ عَلَيْهَا مِنْ صُوَرِ ٱلْحُرُوفِ هِيَ الصُّورَةَ الَّتِي تَقْبَلُ الاتِّصَالَ مِنْ بَدْءِ ٱلْكَلِمَاتِ ، وَهِيَ الَّتِي يُسَمِّيهَا أَهْلُ فَنِّ الطِّبَاعَةِ : حُرُوفًا « مِنَ الأَوَّلِ » . عَلَى أَنْ تُؤْثَرَ الْكَافُ ٱلْمَبْسُوطَةُ وَأَنْ تَظَلَّ حُرُوفُ الأَلِفِ وَالدَّالِ وَالذَّالِ وَالرَّاءِ وَالزَّايِ وَٱلْوَاوِ وَالتَّاءِ ٱلْمَرْبُوطَةِ وَاللَّامِ أَلِفٍ بَاقِيَةً عَلَى صُورَتِهَا فِي حَالَةِ إِفْرَادِهَا .

وَهَا هُوَ ذَا نَمُوذَجُهَا فِي صُنْدُوقِ ٱلْحُرُوفِ ٱلْمَطْبَعِيَّةِ :

أ بـ تـ ثـ جـ حـ خـ د ذ ر ز سـ شـ صـ ضـ

طـ ظـ عـ غـ فـ قـ كـ لـ مـ نـ هـ ة و لا يـ

سلطان اللغة العربية

رأى فى الصراع بين العامية والفصحى

- نصيب اللغة العربية من عصر الانقلاب .
- أدعوة إلى إصلاح الفصحى ، أم إلى انقلاب لغوى ؟
- ماضى الدعوة إلى اتخاذ العامية .
- أسرار قومية وراء هذه الدعوة .
- اختلاف النقاد فى تقدير العامية : هل هى تطور أو فساد ؟
- مدلول الصراع بين العامية والفصحى ومصيره .
- أسباب قوية تمنع الفصحى أن تنتقض .
- أمبراطورية اللغات تختلف عن أمبراطورية العناصر والأجناس والأوطان .
- أمبراطورية اللغة العربية بعد الأمبراطورية العربية السياسية .
- الإيمان بأن لغة الكتابة غير لغة الحديث .
- رجل الشارع يسمو إلى الفصحى .
- الكلمات الفصاح تزاحم الكلمات العامية والدخيلة .
- علينا أن نهيء للفصيح فرصة التعرف .

- يجب أن نتريث فى تسجيل العامى والدخيل .
- أيكون رجل الشارع أحرص على فصيح اللغة من رجل اللغة ؟
- الرأى العربى العام يبغى تذليل عقبات الفصحى .
- فى العامية ألوف من فصيح الكلمات يجب أن نتألفها .
- التخفيف من التباين اللغوى بين أمم الناطقين بالضاد .
- تسمية الأشياء التى تدور فى الحياة اليومية .

(١)

اللغة العربية اليوم فى محنة واختبار ، عليها تدور الأحاديث ، وفيها تتنازع الآراء ، وحولها يتخالف أهلوها : فريق منها يظنون بها الظنون ، وفريق آخرون يجادلون عنها خشية أن يهون سلطانها فى مجال الإبانة والتعبير ...

ليست اللغة العربية وحدها هى التى تبوء بذلك اللون من الحيرة والاضطراب ، فالكون كله فى عهد مضطرب حائر ، قواعده تنخسف ، وقممه تتهاوى ، كأن زلزالا عنيفاً يدور بهذا العالم فى أوضاعه وأنظمته جميعاً .

هذا عصر انقلاب لا ريب فيه ... ويد الانقلاب تتناول كل مقومات الحياة بالتمحيص فى غير هوادة ولا رفق . تنقض منها ما تنقض ، وتستبدل بها ما تستبدل . لا تبالى من شىء ، ولا يستعصم منها شىء .

وإن هذا الانقلاب ليمضى فى قوة وصرامة ، فى يده معول هدام لا تكاد تلاحقه العيون ، مخلفاً وراءه فراغا يتطلب تعميره فسحة

من الزمن ، ومهلة من التدبير . وما هذه الفسحة والمهلة إلا فترة الحيرة والاضطراب التى هى طابع عصرنا المشهود .

إنها حرب ، وإن كانت بغير سلاح ، حرب أشد ضراوة من حروب الحديد والنار ...

هى حرب الأفكار التى يجيش بها الوعى الباطن ، فيتمخض عنها الوعى الظاهر ، حرب توقظ الكمين من مشاعر النفوس ، فإذا هى رغبات ومقاصد وأهداف .

فى أتون هذه الحرب تنصهر مناهج حياتنا فى دنيانا القائمة ، وتتخلق منها دنيا جديدة ، لا ندرى أى دنيا تكون ؟! .

ولئن دلت هذه الحرب على شىء ، إنما تدل على أننا بإزاء حيوية دافقة ، ويقظة عارمة ، ووعى جديد لكل ما فى الحياة من قيم ومفاهيم ... فالكائن البشرى اليوم فى مفترق الطرق ، يتلفت سائلا :

أتراه فى سيره على رشد ؟

ألا من سبيل إلى غد أحفل بالخير للإنسانية ، وأدنى إلى رفاهية ورغد ؟ .

(٢)

لا بدع إذن أن تأخذ اللغة العربية حظها من ذلك التساؤل والاستخبار ، وأن يجرد الكتاب أقلامهم دعاة إلى البحث فى شأن هذه اللغة :

أوافية هى بحاجة أهليها ؟

أمطواعة هى فى أداء رسالتها ؟

ألا نستبدل العامية بها ؟

ومن هؤلاء الكتاب من يحاولون فى دعوتهم أن يستصفوا نفوسهم مما يترسب فيها من سلطان الفصحى على النفوس ، وأن يبعثوها دعوة جهيرة حرة ، تنشد انقلابا لغوياً يساير مجرى الوعى العالمى الجديد .

ليست مصنوعة ولا متكلفة هذه الدعوة الشعواء ، فهى وليدة الشعور الغالب بأن الفصحى صعبة المرتقى ، عصيّة المنال . وأنها ليست طيعة كل الطواعية ، ولا مرنة كل المرونة ، لملاءمة حاجات الحياة فى تطورها الدءوب .

وإذن فهنالك ثورة حبيسة تضطرم ، وهذا وميضها يستبين

فى تلك الدعوة ، فهل هى ثورة على اللغة ؟ أو هى ثورة لها ؟

أثورة هى للقضاء على الفصحى ، وإحلال العامية محلها ؟

أم هى انبعاث لطلب الإصلاح والتيسير ، حتى تساير اللغة مطالب العيش والفكر فى مرونة وطواعية ؟

(٣)

أما الدعوة إلى استبدال العامية بالفصحى ، فهى دعوة ترجع إلى عشرات من السنين ، فقد نودى باتخاذ العامية أداة للتعبير الكتابى ، كما هى أداة للتخاطب والحديث ، وما زلنا نسمع النداء باتخاذها فى الفينة بعد الفينة يتجدد ويتردد . وقد كتبت بالعامية الأزجال والأناشيد وبعض المسرحيات والأقاصيص ، وما فتئت تكتب بها حتى هذه الساعة .

وفى معتقدى أن أسرار الدعوة إلى اتخاذ العامية فى التعبير الكتابى كانت ترجع أكثر ما ترجع إلى أعراق سياسية قومية ، فإن هذه الدعوة بزغت مع فكرة تقويم الشخصية المصرية المحدودة بحدود الوطن الجغرافى . ورافقت نماء الدولة المصرية المستقلة بكيانها فى العالم السياسى ، فكان من عناصر هذا الاستقلال أن تصبح

اللغة القومية ذات سيادة وسلطان ، وما برحت تلك الدعوة تراود أحلام جماعة من الكتاب والأدباء والعلماء ، وفق الملابسات والأحوال ، حيناً تبدو ، وحيناً تخفى ، فإذا ترددت اليوم أصداؤها . فما ذلك إلا رَجْع طبيعى من إيحاء العهد الوطنى الجديد ، ذلك العهد الذى يستعلى فيه الروح القومى إلى أبعد مدى . ويستكمل مشخصاته على أوسع نطاق .

على أن علماء اللغة ونقادها يختلفون فى تقدير اللغة العامية كبير اختلاف ، فطائفة منهم يرون العامية فساداً للغة الأصيلة وانحلالا ، وطائفة آخرون يرونها تطوراً واستحالة ... وبهذين التقديرين يتميز خصماء العامية وأنصارها ، ولكن خلاف النقاد والعلماء فى التقدير لا ثمرة له فى مصير اللغات واللهجات ، فكأيِّنْ من لغة أصيلة لم يكتب لها البقاء ، ولكن بقيت لهجاتها تغالب عوامل الفناء ، وكأيِّن من لهجة مشتقة غُلبت على أمرها أى غلبة ، فلم تستطع فى معترك اللغة الأصيلة أن تعيش .

شأن اللغات واللهجات فى هذه الناحية شأن الأمم والشعوب ، فرب أمة متفردة بما لها من طباع وخصائص ، تغلبت على أمم أخرى

أضعف منها شأناً ، فإذا الأمة الغالبة تمازج الأمم المغلوبة وتداجها ، فتنجم من بينها جميعاً سلالة ناشئة ذات خصائص تمليها بيئة جديدة، فيختلف فى تقديرها المحافظون والمعتدلون ، يقول المحافظون : هذا فساد وانحلال ، ويقول المعتدلون : هو تطور وتحول وامتداد .

ومهما يكن من الخلاف فى تقدير العامية بين الأنصار والخصماء، فالصراع بينها وبين الفصحى واضح المصير . وليس التَّعصِّى على الفصحى والإفاضة فى مشكلاتها إلا برهاناً ساطعاً على أن العامية قد أفلست فى محاولة امتلاكها ناصية التعبير الكتابى فى مجال الثقافة والفكر ، وأن الكأس فى يد الفصحى ، كأس الغلبة والانتصار . رضيناها لغة لحياتنا العلمية والأدبية والاجتماعية على اختلاف المناحى والفروع ، وما تعصّبنا عليها ، وإفاضتنا فى تبيان مشكلاتها إلا نزوع عميق إلى إصلاحها والنهوض بها والسعى إلى تطويعها واستدامة حياتها ، حتى تواتى مطالب العلوم والفنون والآداب ، وتلائم حاجات الحياة فى العصر الحاضر ، وتستطيع أن تكون أداة طيعة مرنة لا يستعصى اتخاذها على جمهرة الشعب ، لكى تؤدى لها رسالة التعبير فى سهولة ويسر .

ما دلالة الهتاف بالعامية بين حين وحين؟ إن العامية تعيش بيننا فى حياتنا العامة عيش الإمرة والسلطان ، بها نتحدث ، فإذا تناولنا الأقلام لنكتب ، أو وقفنا على المنابر والمنصّات لنخطب ، صغنا أفكارنا وأحاديثنا فى عبارات فصاح .

والهاتفون بالعامية لا يهتفون بشيء يتقاضانا أن نتعاطاه ، وأن نجهد فى تعرفه ، وأن نتخذ الوسيلة لإحسانه ، وكان حريا أن نستجيب لهذا الهتاف لو أردنا لأنفسنا اليسر ، فالفصحى تجشمنا كلفة التعلم ، وتريدنا على معالجة التعبير بألوان التجربة والمراس ، والعامية فى متناول أفواهنا لا مشقة فيها ولا عسر ، ونحن مستطيعون أن نجرى بها أقلامنا دون تكلف أو معاناة .

وإذن فدلالة الهتاف بالعامية أن ثمة أسباباً تعصم الفصحى من أن تقضى عليها العامية ، وأن الهاتفين بهذه العامية يناهضون تلك الأسباب ، وينشدون ألا يقام لها فى التقدير ميزان .

(٤)

كثيرة هى الأسباب التى تمنع الفصحى أن تنتقض ، وتمنع العامية أن تكون لها فى ميدان الكتابة دولة التعبير .

فى طليعة الأسباب هذا القرآن العظيم ، منار الفصحى الذى يهدى

إليها كل من يؤمن بكتاب الله ، بل كل من يؤمن بما فيه من بيان مكين ، وهذا المنار هو الذى حفظ الفصحى فى مواضى الحقب ، على توالى الغِيَر ، وهو الذى يحفظها على مر الزمان ، ما بقى فى الناس إيمان .

على أن ثمة سبباً متيناً يرجع إلى ظاهرة اجتماعية واضحة ، ذلك السبب المتين هو الرغبة فى الترابط اللغوى بين الأمم المتشابهة والمتقاربة ، وهو ما نسميه الأمبراطورية اللغوية فى مجتمع الناس .

لقد زالت الأمبراطوريات السياسية بزوال الملابسات التى عملت على تكوينها بين جماعات الأمم ، ولكن يبدو أن فكرة الأمبراطورية أصيلة فى الطبع البشرى ، ومبعثها فى الواعية الخفية للإنسان هو النزوع إلى شكل من التآزر والاتحاد يفيد القوة والمنعة ، فلا غنية للأمم عن ترابط فى مرفق من مرافق العيش ، أو منحى من مناحى الحياة ، سواء فى السياسة والاقتصاد والاجتماع ، وسواء فى مطالب العيش والعقل والذوق والوجدان .

وفى عصرنا الراهن تتجلى لنا الأمبراطورية اللغوية أقوى ظواهر الترابط بين الأمم والشعوب ، فهى تكتل للغات يخلف تكتل العناصر والأجناس والأوطان فقد تقلص ظل الأمبراطورية الإنجليزية فى

الميدان السياسى، وقامت على أنقاضها أمبراطورية لغوية وارفة الظلال، ومن أطراف هذه الأمبراطورية يقوم تكتل ثقافى عماده اللغة الإنجليزية، على تفاوت بين تلك الأطراف لا يعتد به فى تقويم اللغات.

ومن أمثلة الأمبراطوريات اللغوية تلك الأمبراطورية التى تتألف من شعوب تتكلم اللغة الألمانية فى ألمانيا والنمسا والجانب الأكبر من سويسرا، فعلى الرغم من تعدد هذه الأوطان تترابط شعوبها بلغة واحدة.

وهنالك الأمبراطورية اللغوية الفرنسية، إذ تتكون من فرنسا وبلجيكا وجانب من سويسرا، إلى غيرها من رقاع الأرض. والأمبراطورية اللغوية الأسبانية التى تتمثل فى أسبانيا والمكسيك وأمريكا الجنوبية. واللغة البرتغالية التى نراها مستعملة فى البرازيل. إلى غير ذلك من أشتات الأمثلة والصور.

ولا مرية أن لوحدة اللغة أبلغ الأثر فى تقريب الاتجاه الثقافى، وقد خبرت ذلك فى أثناء تجوالى فى المناطق السويسرية المختلفة العناصر واللغات، فكل منطقة منها تجنح فى تفكيرها وثقافتها وأهوائها إلى الأم الكبرى التى أرضعتها بلبان اللغة، وإن كان طابع الأمة السويسرية على اختلاف مناطقها طابع وحدة واستقلال.

ولعل الأمم الشرقية والعربية أولى الجماعات البشرية بأن تأخذ نصيبها من فكرة ذلك الترابط اللغوى ، وأن تتألف منها أمبراطورية اللغة العربية .

لقد تعاونت عوامل طبيعية على أن تتخلق الأمبراطورية العربية السياسية فى عصور التاريخ ، وضمت هذه الأمبراطورية أقطاراً شاسعة ، وأطرافا قاصية . وازدهرت ما شاء لها تصاريف الأيام أن تزدهر ، ثم تناصرت عوامل طبيعية أيضاً على أن تضمحل تلك الأمبراطورية السياسية الكبرى ، مخلفة وراءها دولا لغتها الفصحى .

فإذا كانت الأمبراطورية العربية قد أسدل ستارها على مسرح السياسة فهى قائمة فى مظهر لغوى يربط بين من ضمت من أمم وشعوب ، ونحن نعمل بواعيتنا الظاهرة والخافية على استبقاء رباطنا الأمبراطورى فى صورة اللغة العربية ، وكأننا بهذا الرباط نحي أمبراطوريتنا الزائلة ، على نحو يلائم ملابساتنا الحاضرة . فإيماننا بالفصحى مستمد من إيماننا بتلك الأمبراطورية التى تتجمع فيها أمجادنا التليدة ، وإننا بذلك الإيمان نستمسك بمقومات شخصيتنا

العزيزة علينا وعلى تاريخ الإنسانية جميعاً . وفى هذا الاستمساك تلتقى مشاعرنا الطبيعية لحماية أنفسنا فى معترك تنازع البقاء .

عبث إذن أن تقاوم تلك الظاهرة الاجتماعية القوية ، ظاهرة التكتل اللغوى بين أمم الشرق والعروبة ، فمقاومة العوامل الواشجة فى طوايا المجتمع مقاومة مآلها إلى الخيبة والإخفاق .

(٥)

المثقف وغير المثقف كلاهما قد استقر فى وليجة نفسه أن هناك لغتين : لغة كتابة وتدوين ، ولغة تخاطب وحديث . فهو إذا تكلم ألقى كلامه على السجية ، عفو الخاطر ، باللهجة العامية الدارجة ، وإذا انبرى يكتب واصفاً أو معبراً عن ذات نفسه ، تهيأ لاختيار ألفاظه ، وتكوين جمله ، مراعياً كل ما يقتضيه البيان العربى القويم ، وكأنه بذلك يصقل قوله ، وينسق تعبيره ، لكى يسمو إلى ذلك المناط المرموق ، مناط الفصحى ، فتراه عَزوفا عن اصطناع ما يجرى فى الحديث الدارج من كلمات ، محاولا جهد إمكانه أن يتخذ الألفاظ الفصاح ، وأن يستبدلها بما يدور فى الحياة العامة من تعابير .

بل إن رجل الشارع ، إذا تحدث إلى بعض المثقفين فيما يهمه ، أخذ نفسه بالترفع بأسلوبه بقدر مافى طوقه أن يترفع ، فتراه يعالج فى حديثه أن يهذب عبارته . وأن يدنو بها من الفصيح ما استطاع إلى الدنو سبيلا .

كتب إلىّ بعض المتصلين بى فى شأن مطالب منزلية ، فإذا هو يستعمل كلمة متكأ ، وكلمة مهفة ، ولم يشأ أن يكتب كنبة ، وريشة ، على حين أنه يستعمل هاتين الكلمتين العاميتين إذا تحدث حديثه المألوف ، وذلك اعتقاد منه بأن للكتابة ألفاظاً وأساليب غير ما للغة الكلام من ألفاظ وأساليب .

وفى شارع كبير من شوارع « القاهرة » رأيت كلمة « أرائك » تزين جبين محل لتنجيد المقاعد والكراسى ، مع أن هذه الصناعة يعبر عن صاحبها بكلمة « منجّد » ، وهى كلمة عربية فصيحة ، ولكن شيوعها فى العامية ، وابتذالها فى الاستعمال ، بعث هذا المنجد المتأنق على أن يتجنبها عنوانا له ، وأن يتخذ كلمة فصيحة جديدة تشعر الناس بأنه فنان غير مبتذل ، فهو يخاطب هواة الفن الرفيع بلفظ رفيع .

لا سبيل البتة إلى إنكار ما يضطرم فى البيئات العربية كلها من

نزوع إلى الإفصاح ، ومن رغبة فى تسويد اللغة العربية ، حتى تكون لها الكلمة العليا فى مجال التعبير .

الجمهور العام يهفو إلى الفصيح من الألفاظ ، ويعمل على إشاعته ، طوعا لذلك الوعى الذى يملك عليه أقطار نفسه ... إنه يأنف من الكلمة الأجنبية أيما أنفة ، ويضيق بالكلمة العامية أيما ضيق ، ويجد هواه مسوقا إلى إيثار الكلمة الفصيحة ، فهو يتلقفها ويتناقلها حتى يبلغ بلغته مستوى لغة الثقافة التى يتفاهم بها الخاصة من أهل الرأى والتفكير .

وردت علينا كلمات « البسكليت » و « الأوتوموبيل » و « التلغراف » وغيرها من الكلمات الدخيلة ، فتصدت لها كلمات عربية أو أدنى إلى العربية تحاول إجلاءها ... كلمة « البسكليت » زاحمتها العجلة والدرّاجة ، وكلمة « الأوتوموبيل » زاحمتها العربة والسيارة ، وكلمة « التلغراف » زاحمتها البرقية ، ولن يكون مصير هذه الكلمات الثلاث إلا الجلاء !

زرت فى صيف هذا العام « سورية » و « لبنان » ، فإذا كلمتان شاعتا لم يكن أحد يقدر لهما الشيوع ، يوم نادى بهما مَنْ نادى

من الكتاب والنقاد ، هاتان الكلمتان هما : الهاتف والحافلة . الأولى تستعمل مكان «التليفون» فى كل مكان ، والأخرى تكتب بالخط الجلى على السيارات العامة التى تسمى «الأوتوبوس» .

(٦)

علينا إذن ألا نعطل ظهور اللفظة الفصيحة بحجة أنها غير معروفة ، وأن مقابلها العامى أو الأجنبي شائع صقله الاستعمال . فهذه حجة تدحضها الأمثلة البعيدة والقريبة ، فى الماضى والحاضر ، إذ تداول الجمهور كلمات كانت بادئ بدء موضع الاستغراب ، بل هدف السخرية والاستهزاء ، واستبدل الناس بما كانوا يألفون من الكلمات العامية والأجنبية كلمات جديدة طريفة ، أصبحت هى المألوفة المأنوسة التى لا يصطنعون غيرها حين يعبرون وحين يكتبون .

لكن عملنا إذن إزاء الكلمة الفصيحة أن نهيئ لها فرصة التعرف ، وأن نمهد لها طريق الشيوع ، فالجمهور يجد فى نفسه الحاجة إليها ، ويضمر التعلق بها ، ولن يمضى عليها طويل وقت حتى تكون لها الغلبة على مقابلها العامى أو الدخيل .

إن الكلمة العامية الدارجة خليقة أن تخدعنا ، فنميل إلى أن نتقبلها ، وأن نفسح لها ونسجلها ، لأنها دارجة تستمد الحيوية بهذا الدروج ، ولكن النظرة الفاحصة فى المجتمع العربى ، واستظهار الروح السارية والوعى السائد فى مستوياته العامة أو فى مستوياته الخاصة ، يكشف لنا أن هذا الدروج الخدّاع للكلمة العامية محدود بلغة التخاطب ، موقوف على الاستعمال العادى ، موسوم أحياناً بالابتذال : مهدد بالاضمحلال والزوال . فإن الكلمة المقابلة الفصيحة لا تكاد تبدو سائغة فى الذوق حتى يتقبلها الناس ، وإذا هى شائعة فى البيت والمتجر والسوق .

وأكاد أجزم بأننا إذا قبلنا اللفظ العامى أو الأجنبى الدارج فسجلناه مسارعين ، لم يقع هذا الصنيع من الرجل المثقف ، بل من رجل الشارع . موقع الاستحسان . وسنرى هذا الرجل المثقف ، بل نرى رجل الشارع ، حريصاً كل الحرص على أن يتصيد كلمة فصيحة تحل محل الكلمة العامية أو الأجنبية ، ومتى عثر عليها أنس بها وعمل على إشاعتها بكل ما أوتى من جهد ، مدفوعاً بذلك الوعى الدافق ، وعى السمو إلى أن يكون لسانه مطبوعاً على الفصحى ،

وأن تكون هذه الفصحى لغة تعبيره فى شتى مرافق الحياة .

كثيراً ما يتأثر رجل اللغة بما يلوح له من ظواهر سيادة الكلمات العامية أو الدخيلة فى عهدها الراهن ، ويرى لزاماً عليه أن يذعن لتلك السيادة ، وأن يتهيب اقتراح فصيح العربية المؤدى لما تؤديه تلك الكلمات العامية أو الدخيلة من المعانى والدلالات ، وربما استشعر مجمعنا اللغوى كذلك أن ألفاظ الحياة العامة الدائرة فى أفواه الجمهور العام حقيقة بالقبول أو التسجيل ، دون استحياء مواضعات جديدة ربما تعذرت إشاعتها بين الناس ، أو انْبَهَمَ الحكم على مستقبلها : أتسوغ على الألسن أم لا تسوغ ؟

بَيْدَ أن تأثر رجل اللغة هذا التأثر ، واستشعار المجمع اللغوى على ذلك النحو ، يجب أن يكون بأقل مقدار ، وأن يجرى فى أضيق الحدود ، وأخشى ما أخشى أن تتجلى لنا الحقيقة الكامنة ، فإذا نحن نرى رجل الشارع أشد غيرة على اللغة من رجل اللغة ، وأن نجد الكاتب حين يعبر عن ذات نفسه ، وحين يصف مايهدف إلى وصفه من المرئيات ، أقوى حرصاً على الإفصاح من المجمع اللغوى . وأَحْجَى برجال اللغة وبالمجمعيين أن يكونوا هم مناط

الغيرة والحرص والحفاظ ، وألا يدخروا وسعاً فى إيثار الفصيح ، وفى تقريب مناله من الجمهور ، فإن لم يستطيعوا تعيين درجة الاعتدال فى هذا الإيثار والتقريب ، فلا ضير عليهم أن يكونوا إلى الإفراط أميل منهم إلى التفريط ، تاركين لمهلة الزمن ، ولطاقة الوعى اللغوى ، ولرهافة الذوق العربى العام ، أن يكون إليها مرد الحكم والتصفية ، تأخذ من فصيح المواضعات ما تأخذ ، وتستبقى من العامى والدخيل ما تراه أهلا للاستبقاء .

(٧)

لا خشية على الفصحى إذن من النُّعاة عليها ، ومن الدعاة إلى اتخاذ العامية مكانها ، فالتفسير الصحيح لهذا النعىّ وتلك الدعوة أن الرأى العربى العام يبغى تيسير الفصحى حتى تدنو من منال الجمهور فى غير عناء ، وأن تخف حدة التفاوت بين الفصحى : لغة التدوين ، والعامية : لغة الحديث ؛ فإن لم تكن لغة واحدة يتخذها الجمهور فى خطابه وفى كتابته على السواء ، فلا أقل من أن تتضايق الفروق بين اللغتين ما أمكن التضايق ، وأن تتقارب الشقة بينهما ما أمكن التقارب .

وسبيل ذلك أن نواصل تذليل عقبات الفصحى التى تتمثل فى

تعقيدات النحو والصرف ، وفى مصاعب ضبط الأوزان والصيغ ، وفى قيود وسائل الوضع والاشتقاق ، وأن نتألف من الكلمات العامية ما يسوغ توجيهه أو « تفصيحه » إن صح هذا التعبير ؛ ففى العامية ألوف من الكلمات نجحدها حقها ، ونتنكب عن استعمالها ، لمجرد أنها عامية ، ولو أردنا أن نرد إلى الفصحى نسبها لبلغنا بها الغاية . مثل : شاف بمعنى نظر ، والطراوة بمعنى رخاوة النسيم ، والنهمة بمعنى بقية القوة ، إلى كثير من النظائر والأشباه .

كذلك يهفو الرأى العربى العام إلى التخفيف من غلواء التباين اللغوى بين أمم الناطقين بالضاد ، سواء فى لغة الكتابة أو فى لهجات الحديث ، ولا ريب أن عوامل التواصل بين هذه الأمم بالتبادل الثقافى ، وبالمؤتمرات والرحلات ، وبالصحافة والمذياع ، كان لها أثر واضح فى تحقيق ذلك الغرض المنشود ، وسيزداد هذا الأثر وضوحا وشمولا كلما قويت عوامل التواصل التى يطرد نموها على الأيام .

وثمة حاجة عامة يشعر بها الكاتب العربى المتشوف إلى الإفصاح ، تلك هى حاجته إلى الكلمات التى يعبر بها عن الأشياء

والمعانى المستحدثة فى حياته العامة ، مما يقع لعينه أو سمعه ، أو يشعر به فى ذات نفسه . والكاتبون يعالجون ذلك بكل سبيل . طوراً يستعيرون كلمة أجنبية على كره ، وطوراً ينقلون كلمة عامية ، وإن شاه وجهها فى مساق التعبير الفصيح ، وحيناً يعالجون اشتقاق كلمة جديدة وإن كانت غريبة المفهوم للقارئ لا يتأدى إليه معناها المراد . فعلينا إذن أن نتجه بالكبير من الجهد والسعى إلى تسمية الأشياء والمعانى التى تعرض للكاتب فى تعبيره وتصويره ، وأن نبسط بهذه الأسماء أيدينا لجمهرة المثقفين فى أوسع مجال ، حتى يتعرفوها بمدلولاتها ، فلا يجد الكاتب من حرج فى استعمالها والتعبير بها عن تلك المعانى والأشياء .

(٨)

وفى هذه العجالة أسوق طائفة من كلمات الحياة العامة ، منها ما أقترحه للمعنى العصرى الذى أبينه ، ومنها ما وقع لى فى بعض القراءات والمطالعات ، وأرجو أن تكون هذه الكلمات موضع النظر ، عسى أن تأخذ سبيلها إلى الشيوع .

كلمات الحياة العامة

مصطلحات أثاث البيت وما إليه

سرير الطفل : المِهَزّ

الشيزلونج : الأريكة

الكنبة : المُتّكأ

دولاب الملابس : الصُّوان

دولاب الكتب أوالنقود أوالطعام : الخِزانة

ترابيزة : المِنضدة ، أو النضَد

ترابيزة السفرة : المائدة ، أو : السُّفرة

ترابيزة التزين

(وهى التى يطلق عليها اسم تسريحة) : التسريحة أو خِوان الزينة

الكرسى الرئيسى فى المحافل والمجالس : التكْرِمة

باكتة : رِزمة ، أو : لَفيفة

الفوتيل : الوثير

بريزة (من أدوات الكهربا) : المَقْبِس

الكوبس : القابس

الفازة (للزهر) : الزَّهرية

قصرية الزرع : الأصِيص

حوض استنبات الزهر (للشتل) : المَزْهَرة

المرتبة : الحَشِيَّة

المخدّة : الوِسادة ، أو : المخدّة

الشلتة : النُّمْرُقة ، أو : التُّكَأة

البطّانية (فصيحة)

اللّحاف (فصيح)

الكوفرتة : الدِّثار

الباركيه (وهو قطع من الخشب تبسط على أرض الغرفة) : البِرْكِيّ (معرب) أو : المُعَشَّق

الأبلكاج : رقائق الخشب

البنوهات : إطارات الحائط

الكلوب (للإنارة) : المِنْوار

البرفان : السّاتر ، أو : الحجاب ، أو : الدَّرِيئة

الترموس : الزمزمية

ريشة التنظيف : المِهَفّة

مكان الدفء (الشيمينيه) : المصْلَى أو المِدْفأة

آلة الغسل : الغسّالة (كهربية أو غير كهربية)

المواقد :

موقد الفحم أو الخشب : الكانون

وابور الغاز : موقِدُ النِّفط

وابور السبرتو : موقِدُ الكحول

وابور المطبخ : موقِد الطَّهْو

المصباح الليلى السهارى أو (الفيوز)
أو اللمبة السهارى أو شمع الليل : السَّاهرة أو : الوامِضة
فلَّة الزجاجة : السِّداد ، أو : الصِّمامة
البرِّيمة : البزال
الفتَّاحة : المِنزعة
الكنكة (للقهوة) : إبريق القهوة
الفنجان : القدَح أو : الفنجانة
الشفَّاطة (وهى أداة تستعمل
لسحب اللبن من الثدى) : الشافهة
الأداة التى تفَض بها صحائف
الكتب (كوب بابييه) : المِقْطع
البانيو : الحَوْض

مصطلحات الملابس وما إليها

البدلة	: البذلة أو : الحُلة
البنطلون	: السِّربال
الجاكتة	: السترة
الصديرى	: الصِّدار
الكلسون	: السِّروال
البيجاما	: المنامة
القفطان	: القَبَاء
الجبة الواسعة	: الطَّيْلسان
الفرجية (فصيحة)	
ثياب الزهاد الخشنة	: المُسوح (ومفردها: مِسح)
الشال	: المطْرَف ، أو : الشال
الكوفية	: اللِّفاع

الحرملة : الشَّمْلة

ملابس الصيف النسوية : الشفوف ، أو : الغلائل

الطرحة : الخِمار ، أو : الطرحة ، أو: النَّصيف

البيشة : النقاب ، أو : اللثام

المُبرقع (فصيح)

الروبابيكيا : الأسقاط

المايوه : لَبوس البحر

الأنسامبل — للبلاج (وهو حلة مكونة من ثلاث قطع ترتديها النسوة على الشاطئ) : حلّة الشاطئ

السويتر : العَرَقية

البول أوفر : الصِّدار الصوفى

البلوزه : الصَّدْرية

الجونله : النِّصفية

ثوب غير جديد (نص عمر —	
خرج بيت — سكندهاند)	: اللَّبِيس ، أو الخَلِيع
السوتيان ، أو حامل النهود	: المنهدة
الترتر	: اللُّمَع
لون ساده	: لونٌ مَسِيح : أو : موحَّد أو : ساذَج
لون غامق	: أدكن ، أو : قاتم
لون باهت (بهتان)	: ناصل ، أو : حائل
لون فاتح أو صارخ	: فاقع
لون مطفى	: طافئ
ثوب ثقيل	: ثوب صَفيق
ثوب خفيف	: شَفِيف
الشبشب	: الخُفّ
التزلك	: الجُرموق
قماش مكشكش	: مثنِيّ

الكشكشة (فى الثوب)	: الثَّنْيِيَّات
ثوب مكرمش	: مُغَضَّن
التايور (للنساء)	: الحلة النسوية
البيريه	: القَلَنْسُوَة
الطاقية	: التَّقية ، أو : الطاقية
الكورسيه	: المِشَدّ

مصطلحات الأطعمة والأشربة وما إليها

المتردوتل : رئيس السُّفرة أو : الرئيس
أو : القهرمان

الجارسون : الغلام ، أو : النادل

السفرجى : خادم السُّفرة

الخُشَاف : النَّقِيع

الأشربة الساخنة (Tisanes) : المغْلَيَات

الأشربة الغازية (Gazeuses) : الفَوَّارات

الحوادق (مثل المخلل وما إليه) : الحوازق

كالورى (وهى القوة الغذائية
المدخرة فى الأطعمة
وما إليها) : وَحْدة حرارية ، أو : وَحدة
غِذائية

المكرونة : المقرونة ، أو : الإطريَّة

المَزّة : المُزَّة

الشرابات : الشراب

ألبان معقمة بطريقة باستور : ألبان مُبَسْترة

التروبقة
(وهى عُجالة الطعام فى الصباح) : الصُّبْحة ، أو : العُجالة

جميع ما يتخذ من العجين : عجائن أو خبائز أو خبزات
مثل خُبزات مُحَلاة وخُبزات مملّحة

الطورطه : الفَطِيرة

الجاتوه : البسطة (معربة)

الطعام يطهى بطريقة ألبان
مارى ، أو الحمّام السّاخن : طريقة التحميم

الأوردوفر : المُشهّيات

الساندويتش : الشَّطيرة ، والجمع شطائر

ساليزان (Salaison) : المُمَلَّحات

مصطلحات الزينة وما إليها

أدوات المانيكور	: أدوات التَّطريف
البودره	: المسحوق أو الذَّرُور
الكريم	: الدِّهان
معجون الأسنان	: السَّنُون أو معجون الأسنان
الدبوس	: النَّصل أو : الدبُّوس
الشعر البوكليه	: المُزَرْفَن
البوكل (أو حلقات الشعر)	: الزَّرافين
الشعر غير المضفور	: الخصائل (مفردها : خَصيلة)
الشعر المضفور	: ضفائر ، أو : جدائل
	(المفرد : ضفيرة أو جدِيلة)
الشعر المجموع إلى الخلف	: العقائص (المفرد : عقيصة)
القُصَّة (فصيحة)	
الحسَنة فى الخدّ	: الخال
ست الحسن فى الخدّ	: النُّونة

مصطلحات الأمكنة والمبانى وما إليها

ناطحات السحب	: الشواهق (جمع شاهقة)
الفيلا	: المَغْنَى ، أو : الدارة
اللوكاندة	: النُزُل
البالاس	: الفُندق
الأوبرج	: الخان
صالون أدبى	: مجلس ، أو : نَدوة
البلكون	: الشُّرفة
التراس (مثل تراس الفنادق)	: المُسْتَشْرَف
الكشك (مثل كشك الحمام أو كشك الصحف)	: الظُّلة
الكابينة (فى الباخرة)	: القَمَرة (معربة)

تلتوار الطريق	: الطَّوار
تلتوار القطار	: الرصيف
المقعد الحجرى فى النزهات	: الصُّفَّة
البار	: الحان
الكنتين (معرَّب)	
العمارة	: المبنى ، أو : العِمارة .
المطبخ	: المَطْهَى (وهو أعم من المطبخ فى الدلالة)
البرلمان	: دار النيابة
شيش النوافذ	: وصاوِص النافذة
بير السلم	: مسقط الدَّرَج، أو : مَهْوى الدَّرَج
دورة المياه	: المَطْهَرة
المحل العام لغسل الملابس (البيوندرى)	: المَغْسَلة

الجراج : حَظِيرة السيارات ، أو :
الحظيرة

الإصطبل — للخيول (صحيح)
الزَّرِيبة — للدواب (صحيحة)
السلخانة : المَذْبح

مصطلحات المسرح والسينما والفنون الأخرى

البنوار	: المقصورة الأولى (جمعها : المقاصير الأول)
اللوج	: المقصورة الثانية أو الثالثة (جمعها : المقاصير الثوانى أو الثوالث)
فوتيل	: مَقْعَد مخصوص ، أو : مقعد أمامى أو مخصوص
ستال	: مقعَد خلفى
سترابونتان	: مقعد جانبى
بلكون	: مقعد شُرْفة
أعلى التياترو	: مقعد عُلوىّ
كوميديا	: المَسْلاة

تراجيديا	: المأساة
فودفيل	: الملهاة
الفارْس	: المهزلة
درام	: الفاجعة
أوپرا	: المُلحَّنة (وجمعها : الملحَّنات)
أوبريت	: الغِنائية (وجمعها : الغنائيات)
الرواية	: المسرحية
الأرجوز	: البُهْلول
مسرح الجينيول أو الماريونيت للأطفال	: مسرح البهاليل
كباريه	: المسْهَر
بلياتشو ، أو كلاون	: المُهَرِّج
البهلوان أو الشقلباظ	: الألعُبَان والجمع ألعُبانون
حفلة كرنفال	: حفلة تنكرية ، أو حفلة مقنَّعة

الماكياج : التخفّى ، أو التَّشكل

ماكيور (وهو الذى يقوم بعملية التشكل للممثلين وغيرهم) : الماشط

الرقص الريتميك (التوقيعى) : الرقص الإيقاعى

حلقة الرقص (البيست) : بُهرة الرقص

اسكتش (فى الرسم) : صورة تخطيطية

الهارمونى (فى الموسيق) : التناسق ، أو : التوافق

الأصوات الغنائية :

الباس : الجَهِير

الباريتون : الصّادح

التينور : المُصَلصِل

السُبرانو (صوت نسوى) : الصَّنَّاجة

الكومبارس : البِطانة

الريجسور (فى المسرح) : مدير المسرح أو : القيِّم

خشبة المسرح : المِنَصَّة

الكواليس	: دخائل المسرح
السيناريو	: المَشْهَدية
سينماراما	: الشاشة المجسّمة ، أو : السينما المُجَسمة
سينماسكوب	: الشاشة العريضة ، أو : السينما العريضة
الماكت	: التصميم
الدوبلاج	: الازدواج ، أو : التزاوج
الممثل القائم بعملية الازدواج	: البديل
التكنسيان (للحاذق الماهر فى حرفته)	: الصَّنَّاع
التوتة (فى الموسيقى)	: المِثال
المونولوج	: المُناجاة ، أو : النَّجوى
الديالوج	: الحِوار
المايسترو (فى الموسيقى)	: ضابط الإيقاع

الأنتراكت : الترويحة ، أو : الاستراحة .
ستديو الرسم : المَرْسَم
ستديو الصنعة : المَحْرَف
ستديو النحّات أو المثّال : المَمْثَل ، أو : المَنْحت
الرفران (فى الغناء والشعر) : التَّرجيعة
البوز (عند المصوّر والمثال) : الوِضعة
فرشة الرسام : المِرقاش ، أو : المِرْقَم
النيجاتيف (فى التصوير الشمسى) : السَّلبيَّة
الكاريكاتور : الرسم الساخر
الهواية ، أو الغِيّة : المَهْواة ، أو المَشغفة
الغاوى : الهاوى
المِنياتور أو الصورة المصغرة : المُنَمْنَمة
مذهب رياليسته : واقعى
مذهب كلاسيك : اتباعى
مذهب رومانتيك : رومانسى (معربة)

سوريالى : فوق الواقعى

السيرك : الملعب الشعبى

البانتوميم : التمثيل الإيمائى

منولوجست : المناجى ، أو : الزاجـل (للمذكر)

المناجيـة ، أو : الزاجـلة (للمؤنث)

البروكة أو الشعر المستعار فى التمثيل وفى غيره : الجُـمَّـة

كازينو : الملهى ، أو : الكازين (جمعها : الكازينات «معربة»)

المونتاج (فى السينما) : إعداد المنظر

البروفة : التدريبة ، أو : التجربة

البيانو : البِـيان (مُعرَّب)

مصطلحات الرياضة وما إليها

سكى	: الزّلاّجة
اللّوج (Luge)	: مِزْلج
ترينو	: مركبة ثلجية ، أو : زَحافة
باتنوار	: ساحة التزحلق
تلِفريك	: مركبة جوية ، أو : معلقة
كريماتّير	: المُضرّسة
فينيكولير	: المُصعّدة ، أو : القطار الصاعد
حلبة السباق (الحلبة معناها : مجموعة الخيل)	: المِضْمار
يتمرجح فى المرجيحة	: يترجّح فى الأرجوحة
الباسكت بول	: كرة السَّلة
التنس	: كرة المضرب

الهوكى	: لُعبة الصَّوْلجان
البنج بنج	: كرة المِنضدة
الإستاد	: الملعب الرياضى
البلياردو	: البليار (مُعرَّب)

مصطلحات الريف وما إليها

ألفاظ عامية فصيحة

الدَّوَّار

المصطبة

الجُرن

القُفَّة

المقْطف

الزَّكيبة

النَّبُّوت

جُبن قريش

ألفاظ عامية وبديلها الفصيح

خبز مرَحرح : خُبز رَحْراح

المذْوِد : المِذْوَد

اللبن الخضّ ، أو الشرش	: الخُثارة
اللبن الزبادى	: اللبن الرائب أو : الرَّوْب
مترد اللبن	: القَعْب
البلاص أو الزلعة	: الجَرَّة

مصطلحات الأدوات التي تستعمل في الصناعة وما إليها

الفَـرملة : الكابحة ، أو المـُعوِّقة

الدريكسيون في السيارة : عجلة القيادة

الكاربوراتور : المُـبَخِّـر

المانيفلا (لإدارة السيارة) : المُـدَوِّر

المصباح القوي في السيارة (الفار) : الوهّاج

المصباح الشديد الضوء

(المستعمل لإنارة المباني من الخارج

ولـكشف الطائرات) : الـكشّـاف ، أو : المِـكشاف

الخرّامة : المِـثْـقاب

الديكتافون : آلة الإملاء

المانشِـتْ (في الصحف) : العُـنوان الضخم

البستون : المِـكبس

الحقنة أو (السيرنج) : المِحقَنَة

البطارية : مشحَن كهربى

الوِنش : الرافعة

الشاسى (للسيارة) : هيكل السيارة

الأسمنت المسلح : المُسَلَّح

السويتش (فى التليفون) : التحويلة

الماكينة : المَكِنَة

(وهى التى تولد القوة وتنشئ الحركة للغير : مثل مكنة الحرث ومكنة الرى . أما التى تولد قوة حركية ذاتية فتسمى « آلة » مثل آلة الساعة)

الماسورة : الأنبوبة

مواسير فخار : أنابيب فَخّار ، أو أنابيب خَزَفية

مصطلحات التجارة وما إليها

تاجر القطاعي	: تاجر التجزئة
تاجر الجُملة (صحيح)	
محل المزاد	: سوق المزايدة
تحصيل السلع من الأســواق	
أو (الشوبنج)	: التَّسَوق
توزيع السلع على الأســواق	: التَّسْوِيق
أنواع البيوع :	
البيع بالنقد	: بيع فَوْرى
البيع شكك ، أى بأجل	: نسِيئة
البيع أقساطا (صحيح)	
بوليصة العفش	: وَثيقة الأمتعة
بوليصة التأمين	: وثيقة التأمين
الفاتورة	: رُقعة الحساب

مصطلحات منوّعة

الأرستقراط	: السَّراة
ريبورتاج (في الصحافة)	: الاستطلاعات الصحفية
أنسكلوبيديا	: دائرة معارف ، أو : مَعْلَمة
الطفل سَنّن ، أي ظهرت أسنانه	: أسَنَّ الطفل
بزرميط	: هَجين
اللبخات	: السَّواخن
الترولى بَسْ	: الحافلة الكهربية
الأتوبوس	: الحافلة
اللورى	: الناقلة
الصندل	: الناقلة النهرية
عربة كارو	: عربةٌ كارّة
الكمسارى	: التذكرى ، أو : عامل التذاكر

المُسْتَجْدُون	: العُفاة
اليافطة	: اللافتة
الشارى	: الزَّبون
وكيل التوزيع للمتجر	: العميل
عصا الشرطى	: المِخْصرة
البحبوح	: البَحْباح
الطاقم	: الزمْلة
المرأة التى تلد الإناث	: مِئناث
المرأة التى تلد الذكور	: مِذكار
يسير على غير خطة فى الطريق	: يعتسف الطريق
يسير فى إهمال	: يتسكع
الكمرة من الخشب أو الحديد	: العارضة
صوت غليان الماء فى المرجل	: نشيش المِرجل
الجـــير	: الجِص ، أو : الكِلس
السنطة التى تبدو فى البشرة	: الثُّؤلول ، وجمعها : ثآليل

الأثر التذكارى كالعمد أو التماثيل

المقامة لتمجيد الأشخاص

والأحداث التاريخية : النُّصب ، والجمع : أنصاب

الطراوة للنسيم (فصيحة)

رد فعل : رَجْع طبيعى

الريشته (للدواء) : تَذكِرة الدواء

الجنتلمان : الكيِّس

البسكلت : العَجَلة ، أو : الدرَّاجة

الموتوسيكل : الدرّاجة البُخارية

التلفيزيون : المرْناة

(من الرنوّ : للنظر والاستماع)

الميكروفون : مُضَخّم الصوت

الميكروسكوب : المِجهر

طائرة الهيليكوبتير : الطائرة الأحادية ، أو : أحادية الجَناح

الموديل (مثل موديل لويس
الخامس عشر فى الأثاث) : الطِّراز
المودة : البِـدعة
المشروع الارتجالى غير المدروس : المشروع الاعتسافى
الدراسة بلا خطة مدروسة : دراسة اعتسافية
المشروع الناجز (Imminent) : الفوْرِى ، أو : الناجز
الدوسيه : الإضمامة
المسطح الذى تدرج عليه الطائرة
قبل أن ترتفع : المَـدْرَج
البالون (يلعب به الأطفال) : النفّـاخة
القطعة من الرمل على الشاطئ
يخشى منها الغرق : المَـغْـرقة ، وجمعها : مغارق
(Sable mouvante)
التأشيرة فى جوازات السفر
أو : (الفيزا) : الـوَسْمَـة

باسبور مؤشر عليه	: جواز موسوم
الأسكلة	: المَرْسَى
الكورنيش	: رصيف البحر ، أو : سِيفُ البحر
موظف التشريفات	: الآذن ، أو : الأمين
الدوطة (المال تقدّمه الزوجة إلى الزوج)	: البائنة
(أما المال يقدّم من الزوج إلى الزوجة فهو)	: مهر أو : صَدَاق
تبادل المنفعة	: التَّفايُد
الفولكلور	: المأثورات الشعبية
الأمبراطورية	: السلطان
الفاسيكول	: الكُرَّاسة
اللابيرانت	: المتاهة
البقشيش	: المِنْحَة
الأرشيف	: السِّجِل

الشنمرة	: الجَـفْـر
متحنشص	: متحذلق
الرأول	: جدول الأعمال
السيمافور (فى السكة الحديد)	: عمود الإشارة
الشنكل (للباب وما إليه)	: المِشْبك
الهيصة	: الزّيطة
الكوليرا	: الهَيْضة
الرادار	: الراصد (والجمع : رواصد)
البيك أب (فى الحاكى)	: اللاقط
التلبـــاثى	: انتقال الأفكار
آلة تصوير التليؤ بجكتيف (Tele—objectif)	: الخاطفة
ألبوم الصور	: سِجل الصُّوَر
الورنيش	: الطـــلاء
البروفة (فى الطباعة)	: المُسْوَدَّة أو: المُسَوَّدَة

السيكس أبيل فى المرأة	: الجاذبية الأنثوية ، أو : الأنثوية (أى صفات الأنوثة وخصائصها)
السيكس أبيل فى الرجل	: الرجولية (أى صفات الرجولة وخصائصها)
الشلة من الناس	: الثُّلة
أوريجينال	: ابتداعى ، أو : ابتكارى
ستيلو	: قلم حبر
ستيلو بلى	: قلم حبر جاف
قلم رصاص بلى	: قلم رصاص سائل
الماركة	: العلامة
الكليشيه	: الرَّوْسم (والجمع : رواسم)
الأكزيما	: الأكْلة
البروليتاريا	: طبقة الكادحين ، أو : الطبقة الكادحة

البورجوازية	: الطبقة المتوسطة ، أو = الطبقة الموسِرة
بورجوازى	: مُوسِر
الأيديولوجى	: المذهبية المثالية
الأيديولوج	: مثالىّ المذهب
الطبع بالأستنسل	: الطبع بالنضّاحة ، أو = بورق الشّمع
الفيترينة للمتجر	: الوِجهة
جعل الأدب للدهماء	: تدهيم الأدب
فن صناعة الفنادق	: فن الفندقة
الميزانباج (فى الصحافة)	: تنسيق الصفحة أو : التنسيق
مصباح الفلورسانت	: المصباح المُشع
دفتر الأوتوجراف	: دفتر التوقيعات
الأوتوجراف	: التوقيع

مواليد جديدة...

فى لغة الحياة العامة

١ — في هذه الحقبة التي أتاحت للبلاد العربية نهضة شاملة في مختلف المرافق العلمية والاقتصادية والاجتماعية ، ثارت مشكلة في اللغة عويصة ، حول المدلولات الجديدة في المعاني والأشياء والأدوات ، فدارت المساجلات بين الباحثين والكتّاب ممن يَتَحنَّثُون ومن يترخَّصُون ، بينهم من يقول بالتعريب ويعوّلُ عليه ، وبينهم من يأبى إلا أن نتخذ من الفصحى مواضعات تقابل الدخيل ، وبينهم من يقف من الخلاف موقفاً وَسَطاً ، فيطالب بالمحاولة والمعالجة ، ويجيز التعريب إذا ألحت الضرورة ، وانقطع الجهد .

ولم تتفق الآراء ، ولم تلتق وجهات النظر ، وبقيت المشكلة تتنازعها أقلام الباحثين والكتاب ، وهي على حالها من التعقد والاستعصاء . . .

ولكنَّ مَا جرَيَاتِ الحياة لا تقف حتى تَجِدَ من الآراء وفَاقاً ، ومن وجهات النظر المتخالفة تَلاقِياً ، فقد اختطت لها في علاج تلك المشكلة خطة عملية فعَّالة ، تَفْرِضُ نفسها

في غير ما جَلَبة ولا ضجيج .

وما أَقدرَ الزمن في سيره على حلِّ المشكلات ! ...

* * *

٢ — لقد شَهِدْنا أساتذة العلوم والفنون ، وأرباب الحِرَف والصناعات ، يَسْعَوْن سعيهم الحثيث لتأسيس لغة يتوحَّدُ فيها التعبير والاصطلاح ، وهم يستعينون الفصحى ويُؤْثرونها في أغلب ما يتخذون من تعبيرات ، وما يقرّون من مصطلحات .

وفي كل مؤتمر علمي يعقده أهلُ الاختصاص ، يبرز موضوع المصطلحات للدرس والبحث ، وينتهي فيه الرأى إلى الإجماع على إعلاء الكلمة العربية على مقابلها الدخيل . . .

بل نكاد نجد في كل كتاب علمي يؤلف ، مظهراً من العناية بمصطلحاته ، يتجلَّى فيه الجُنُوحُ إلى الإفصاح .

* * *

٣ — وَثَمَّةَ في الميدان الأكبر ، ميدان الحياة العامة ، في غير معاهد العلم وأندية الدرس ، يلاحظ الناقد اللغوى مايستبين من عزوف عن الكلمات الأجنبية ، ومن خَلْق لكلمات عربية

تقـــوم مقامها فى الأداء .

والصحافة خير مرآة لهذا التطور فى المستوى اللغوىّ العام ، فيها يطالع المرء هـذا الصراعَ الناشبَ بين الألفاظ الدخيلة وما يُقْـترحُ لها من بدِيل عربىّ .

وفى المصالح والمرافق الحكومية ، يأنسُ الناقد اللغوىّ رُوحا قوياً من الرغبة فى تقديم كلمات فصيحة ، لا تلبث أن تألفها الألسـن ، وأن تُشيعها فى الأسباب الدائرة بين الناس .

كذلك لا يفوت الناقد اللغوىّ أن المؤسسات الحرة ، والمتاجر الشعبية ، والأسواق العامة ، أصبحت تتلقف المصطلحات الفنية الفصيحة فى تسمية ما يتصـــل بها من الأشياء ، بل لقد أصبحت تطاوع ذلك التطور اللغوىّ الملحوظ إلى أبعد مدى ، وتستجيب لمطالب الذوق الرفيع فى التعبير ...

فى ميادين « القاهرة » وشوارعها ، يتطلع المرء إلى اللافتات على جبين المتاجر والمحلات ، فيصادف الطريف من التسميات ، والرشيق من العبارات ... فهنا محل « للمانيفاتورة والخردوات » يسمِّـى نفسَـه : دار الأزياء ، وهناك محل للحلاقة يسمى نفسه :

بيت الزِّينة ، وهذا محل لأدوات « الأسبور » يسمى نفسه : بيت الرياضة ، وذلك محل لبيع الفاكهة يسمى نفسه : جنة الفواكه ، وآخر لصنع المفاتيح يسمى نفسه : عالم المفاتيح ... إلى غير ذلك من أسماء يتفنن فى وضعها واختيارها التجار والعارضون .

* * *

٤ — ومن أطرف ما يحضرُنى فى هذا الصدد ، مِصْداقا لشعور الجمهور نحو التعبير الجميل ، والبيان الخلاب ، أنه قد أذيع فى وقت من الأوقات أن « البرسيم » مفيد للصحة ، وأن عُصارته تحوى من عناصر التغذية ما لا غَنَاء عنه . فزَيَّنَ هذا لبعض محلات العصير أن تقدم كئوساً من عُصارة « البرسيم » مخلوطة بغيرها من ألوان العُصارات ، وإذا كلمة تنجم للتعبير عن هذا العصير البرسيمىّ الجديد ، كأنما أريد بها تحليتهُ إلى الناس ، وإذا الكلمة شعرية فيها جمال وخيال ، تلك هى : « شراب الرَّبيع » فقرأناها على اللافتات اسماً لعصارة « البرسيم » !

* * *

٥ — ومنذ عهد بعيد ، ونحن نبحث عن كلمة عربية تقوم مقام

كلمة « برافان » . وفى أيام الاستفتاء على الدستور وعلى رياسة الجمهورية — هذا العام — قرأتُ فى الإعلانات المبسوطة للشعب فى مراكز الشُّرطة كلمة « ساتر » وبجانبها رسم « برافان » ، مع بيان إلى الناخبين بأن يسجلوا رأيهم وراء هذا « الساتر » حتى لا يبصرهم أحد .. وبذلك أصبحت كلمة « الساتر » فى معنى « البرافان » كلمة ديوانية شائعة ...

* * *

٦ — ولقد ظلت كلمة « الطابور » تؤدى معنى خاصاً هو اصطفاف جَمْع من الناس واحداً خلف واحد ، « فالطابور » هو الصف الرأسى ، ولكن لفظه غير عربى ، ولا يكاد الكاتب يجد له مقابلا عربياً شائعاً فى الكتابة . بيد أن العسكريين قَبِلوا ما أشار به عليهم اللغويون من تسمية « الطابور » بالقطار ، وقد سمع الموظفون وغيرهم من الجماهير كلمة القِطار تدور على ألسنة المعلمين العسكريين فى تدريبات المقاومة الشعبية ، تلك التدريبات التى نُظِّمتْ أثناء العدوان على « مصر » هذا العام ، فكان المعلم من جنود الجيش يقول لطلاب التدريب : نظموا

أنفسكم صفوفاً ، إذا أراد أن يكون وقوفهم عَرْضاً صفاً بعد صف ، ويقول لهم المدرِّب : نظموا أنفسكم قِطارات ، إذا أراد أن يكون وقوفهم واحداً بعد واحد ، قِطاراً بجانب قطار . وهكذا احتلت كلمة « القطار » محل كلمة « الطابور » فى لغة الجيش ، ولم يَعُدْ لتلك الكلمة الأجنبية فى التشكيلات العسكرية وجود .

* * *

٧ — وأذكر اسم « وابور الزلط » الذى ثَقُلَ علينا لفظه فقد شَهِدْته فى بعض الطرقات وهو يحمل على جانبه اسماً عربيّاً وضعَتْه له المصلحة الحكومية التابع لها ، وهى « مصلحة الهراسات » وإذن فهو « الهرّاس » ونحن لا ندرى !... وكان مجمعنا اللغوىّ قد أطلق عليه من قبل اسماً دقيقاً ، له فى قديم اللغة مكان ؛ ذلك هو : المِرْدَاس . والاسم المَجْمَعِيّ أولى ، لأن الرَّدْسَ هو تسوية الأرض ودَكُّها ، فأما الهَرْس فهو الكسر والدقّ ، وهذه الآلة مهمتها الكبرى — فيما نرى — أن تسوِّى وتدُكّ ، لا أن تكسر وتدُق ، ولكن المجاز يقبل مثل هذا التوسُّع . ومهما يكن من أمر ، فقد نهضتْ كلمة عربية تحل محل « وابور الزلط » فيها مَلامِح المعنى المقصود ، وإن

لم تبلغ من الدقة ما راعاه المجمعُ حين اختار كلمة « المِرْداس » .

* * *

٨ — وفى إحدى السيارات العامة « بالقاهرة » لمحت قطعة مَعْدِنية تزينُ صَدْرَ العامل الذى يتولى قَبْضَ الأجور من الركاب ، وقد حُفِرَتْ عليها كلمة « مُحَصِّل » ... فهذه الكلمة قد آثرتْها شركة السيارات على الكلمة الأجنبية التى عاشت حقبة من الدهر ، وهى كلمة « كمسارى » ... وقد كنت اقترحت كلمة « التَّذْكِرِىّ » واستعملتها لتقوم مَقامها ، ولكن يبدو أن كلمة « مُحَصِّل » هى التى ستتغلَّبُ على كلمة « كمسارى » غير مأسوف عليها ، وعلى كلمة « تَذْكِرِىّ » أيضاً مأسوفاً على شبابها الغض !...

* * *

٩ — وفى العهود المواضى كانت كلمة « المُوسَى » شائعة فى تسمية الأداة التى يستعملها الحلاقون المحترِفُون ، فلما اتُّخِذَتْ هذه الأدواتُ الصغيرة التى يستعملها الناس بأنفسهم للحلاقة ، وأراد التجار أن يُسَمُّوا مَوَاسِيَهَا فى إعلاناتهم التِّجَارية ، لم يطبْ لهم أن يستعملوا كلمة « المُوسَى » حتى لا تلتبس بالمُوسَى

المعروفة عند أولئك الحلاقين المحترفين ، وَنَجَمَتْ كلمة جديدة في تسمية هذه الأداةِ الصغيرةِ ، وهي « شَفْرة الحلاقة » لتمتازَ بها عن مُوسىَ الحلّاق . وفي اختيار تلك الكلمة ذَوْق مقبول .

* * *

١٠ — وفي خِلالِ المناقشات السياسية الدولية حول مشكلة القناة ، كتب قارئ إلى إحدى الصحف اليومية يأخذ عليها أنها تردّد لفظَ « الفيتو » الذى يستخدَم أحياناً حين أَخْذِ الرأى فى قرارات مجلس الأمن ، وهذا القارئ يعيب على الصحف أنها تفرض فى قرائها المعرفة بمدلولات الكلمات الأجنبية ، ويرغب إليها فى أن تستبدل بها كلمة عربية مفهومة... وفى ذلك النقد والمؤاخذة برهان على أن القارئ العربىّ لم يعد يَرضَى بغير الكلمات العربية التى تثير فى الذهن دلالات من قريب أو من بعيد ... ولو أننا أخذنا كلمة « النقض » التى أراها معبرةً عن معنى « الفيتو » لاستطاع قارىء العربية أن يفهم منها مدلول الاعتراض أو الرفض أو الردّ أو ما يتصلُ بهذا المعنى ، وهى على أية حال ليست كالكلمة الأجنبية مُغْلَقَة المعنى ، طَامسةَ المدلول ، يُشيع انغلاقُها

وانطماسُها ضيقاً فى النفوس ، وحَيْرة فى الأذهان .

* * *

١١ — وفى أثناء الأحداث القريبة كانت البلاد المختلفة فى الشرق والغرب تتَّخذُ من الإجراءات التموينية ما تقتضيه الأحوال ، فلاحتْ ثلاثةُ تعبيرات لمعنًى واحد ، هو نظام التوزيع المحدّد لبعض مواد التموين . وقد سُمِّى فى «مصر» : نظام البطاقات ، وسمته إحدى الإذاعات الأجنبية : نظام الجِرايات ، وأطلقتْ عليه إحدى الصحف العربية : نظام المخصَّصات... ويستبين فى هذا التخالف فى التسمية ما يشبه التقاتلَ فى سبيل تسويد كلمةٍ عربية ملائمة تؤدى هذا المعنى الجديد فى ميدان الحياة .

* * *

١٢ — وشبيهٌ بهذا ما يجرى حول كلمة (الفيزا) أو الإذن بالخروج من بلد إلى بلد ، ففى « مصر » شاعتْ لهذا المعنى كلمة : (التأشيرة) ، وكنت قد اقترحتُ له كلمة «الوسْمة» منذ فترة غير بعيدة . فما راعنى وأنا فى مفوَّضية الأمن العام فى «بيروت» إلا أن أسمع أحد الضباط يردِّد كلمة « الوَسْمة » معبرا بها عن « الفيزا »

أو « التأشـــيرة » ولم يكن فى حسبانى أنها مستعملة فى ذلك البلد العربى ، ولا توقعتُ أن تستعمَلَ فى زمن وشيك .

* * *

١٣ — ومما يتصل بهذا أيضاً أن مصرياً يحمل لقب(أميرالاى) سافر إلى بلد عربىّ ، فلما ذكَرَ هذا اللقب لمن عند الحدود من الحرَس ، لم يفهموا ماذا يَعنى ، إذ كان غير مرتدٍ حلته الرسمية ، ولم ينجُ من الموقف الحرِج إلا حين تطوّع أحد الناس بالشّرح ، فقال : إنه « عقيد » ، فما إن علم الحرَس بمعنى اللقب حتى رحبوا بصاحبه ، ويسّروا له مهمته ، وزالت بينه وبينهم وحشة كان مردَها إلى الكلمة الأجنبية : « أميرالاى » !

* * *

١٤ — وفى صحف « لبنان » قرأت إعلانا يبشر فيه صاحبُه بوصول كمّيات من الزجاجات العازلة ، وقد أوضح معناها بذكر كلمة « ترمس » بين قوسين ، فقد عزّ على التاجر أن يطالع القراءَ العربَ بالكلمة الأجنبية وحدَها دون مقابلها العربى ، فعبّر عنها بالزجاجات العازلة ، وهو تعبير سهل مُستوحىً من وظيفة هذه

الأداة ، وهى عزل ما تحتويه عن مؤثرات الجو من الرطوبة والحرارة ، وكان المرحوم الشيخ «السكندرى» قد اقترح «للترمس» كلمة : « الكظيمة » وهى لاتخلو من غرابة ، وكنتُ قد قدمت كلمة « الزَّمزَميّة » لشهرتها وإن لم تكن « الزمزمية » مثل « الترمس » فى وظيفتها . وتلك هى كلمة « العازلة » تجيء اليوم لتنافس فيما أراد المرحوم «السّكندرى» وفيما أردتُ ، وكل هذه الكلمات تتلاقى فى أنها قُوى تكافح الكلمة الأجنبية ، كى تقصيها عن مجال الاستعمال .

* * *

١٥ — وحدثنى صديق أن زائراً مصرياً قدِمَ « لبنان » فإذا هو يقرأ فيها لافتة لإحدى الشركات مكتوبا عليها : « شركة مغفلة » ، ولم تفتْه الدُّعابة ، فقرأها ضاحكا لمن معه : شركة مُغَفَّلة ، بفتح الغين وتشديد الفاء ... والشركة لم تشأ أن تكتبَ الكلمة الأجنبية « أنونيم » أى ذات أسهم غير مسمى حاملوها ، أو غير مقصورة على أشخاص معيَّنين . ولعل الشركة لاحظت أن تلك الكلمة الأجنبية إذا كُتِبَتْ بحروف عربية نَبتْ عنها العيون ، فترجمت الكلمة بما يقابلها من العربىّ ، وأرادت أنها شركة ذاتُ

أسهم «مُغْـفَـلة»، بسكون الغين وفتح الفاء ... وربما كان من الخير أن يقال: «مُغفَـليَّـة» نسبة إلى الغُـفل بضم الغين وسكون الفاء. والشيء الغُـفل هو الشيء غيرُ المسمَّى صاحبه أو المعروف شأنه.

* * *

١٦ — لم يعُـدْ ريب فى رُوح الإفصاح تخْـفُـق فى صدر المجتمع العربى خفوقا يحفزه على إيثار الكلمة العربية وإباء الكلمة الأجنبية. وليس هذا مقصوراً على العلماء فى معاهد الدَّرس، أو الكاتبين فى مجالات البحْـث، وإنما هو شامل غامر، يستوعب العاملين فى ميادين التجارة والصناعة، وفى مرافق الحياة العامة. فالصِّـبْـغة العربية عليهم غالبة، وسموّ الذوق فى التعبير بينهم واضح جلىّ.

وإذا كان مجمعنا اللغوى قد لقى من غمزات المتفكهين ما لقى بحق أو بغير حق، حين رغب فى أولِ عهده أن يقدم للجمهور كلمات فصيحة تقوم مقام الكلمات الدخيلة، للتعبير عن شئون الحياة العامة، والأسباب الدائرة بين الناس — فإن الجمهور اليوم يشارك المجمع أو يباريه فى هذه السبيل، وأكاد أقول إنه يسبقه فى وضع

الكلمات الفصحى ، وفى إشاعتها للتعبير عن حاجات الحياة .

وإن من حق المجمع ، بل من واجبه ، أن يتسمَّع إلى هذه الهُتافاتِ التى تتردَّد فى جوانب الأمة العربية ، وأن تكون لها أصداؤها فى سعْيه واتجاهه ، لا يُلقِي بالا إلى من يتفكَّهون بالغمْز ، فأولئك هم اللاهون الذين لا ينظرون نظرة جدٍّ وتفكير ، وأولئك ليسوا من الأمر فى قليل ولا كثير .

إن من حق المجمع ، بل من واجبه ، ألا يجارِيَ الظواهر السطحية التى تبدو كما يبدو حباب الماء ، ثم لا تلبث أن تخفى كما يخفى حبابُ الماء . وإنه لواجد فى صميم المجتمع العربى نُزُوعاً أصيلا إلى أن تكونَ العربية لسانَ الحضارة التى تغمره من كل جانب ، فهو يسمو إلى أن يُعبِّر عن كل شىء يزاوله وكل معنى يخالجه بلفظ عربى مبين .

* * *

١٧ — وقد كنت دأَبتُ منذ زمن على تدوين ما يقع تحت ناظرى أثناء مطالعاتى فى الصحف والمجلات من ألفاظ جدد ، وجد المؤلفون حاجة إليها ، فاجتهدوا فى وضع صِيَغِها لأداء

مدلولات عصرية .

وفيما سلفَ ، قدَّمتُ طائفة من كلمات الحياة العامة منها ما تلقَّطته فى بعض القراءات والمطالعات ، ومنها ما اقترحته وعرضتْ لى الحاجة إلى استعماله فيما أكتب .

وهأنذا أقدم مجموعة أخرى ، أرجو أن أتبعها مجموعات أُخر ، وما اريد بها أن ألتزمَ الكلماتِ التى وضعها الناسُ قبلى ، ولا أردتُ أن أُلزِمَ الناس ما لىَ فيها من كلماتٍ مقترحة ، وإنما أنا أبغى وضعها تحت الأنظار ، وعرضها على مدْرجةِ البحث ، وتقريب منالِها من الراغبين .

واللفظ كائن حىّ ، مولود جديد ، علينا أن نلقىَ به فى خِضم الحياة ، لكى يزاولَ تجربته فى هذا الوجود .

* * *

١٨ — وهاكم مواليد جديدةٌ فى لغة الحياة العامة :

(١) النيرسرى : Nursery

حُجرة الحضانة

(٢) السـير : Serre

بيت النبات

(٣) قومسيون طبى :

لجنة الفحص الطبى

(٤) كونسولتو :

هيئة طبية

(٥) أوتوستراد :

طريق السيارات

(٦) كورس :

جُوقة

(٧) بيرسبكتيف : Perspectif

المَنظور

(٨) جيتر :

المِسْاة . الرَّان . غِطاء الحذاء

(٩) أمبرميابل :

مِمْطر . مِعطف واق . معطف مَطر

(١٠) البالون :

المُنْطاد

(١١) البالو :
الفَنْزَج (حفلة راقصة يشترك فيها جمع الحاضرين)
(١٢) الباليه :
الرقص الرمزىّ (تؤديه جُوقه من الفنانين)
(١٣) الباليرينا :
الراقصة الأولى
(١٤) الكلاكسون :
آلة التَّنْبِيه (استعملها قلم المرور فى وزارة الداخلية المصرية)
(١٥) وابور الزلط :
الهرّاس (استعملتها وزارة الأشغال ، وفيها مصلحة تسمى : « مصلحة الهرّاسات »)
(١٦) الصندل :
الصَّنْدَلة (نوع من الأحذية ، والكلمة معربة من قديم ، ووردت فى معجم : المصباح المنير)
(١٧) المكمّدات :
الكِمادات

(١٨) التشحيم :

تزويد السيارة بالشَّحم وما يتصل بالتنظيم والإعداد

(١٩) الجرسيه :

المُكرَّش

(٢٠) سينما فستافيزيون :

السينما الغائرة ، أو : المنظر الغائر

(٢١) تليكومينيكيشن : Telecommunication

الاتصال الكهربىّ

(٢٢) الترمس :

زجاجة عازلة ، أو : العازلة ، أو : الزمزمية ، أو : الكظيمة

(٢٣) الليكو بلاش :

اللَّصُوق

(٢٤) السسبنس : Suspense

التَّوَتر (مواقف سينمائية تثير الانتباه والتوقع)

(٢٥) السيرناد (فى الموسيقى) :

الغرَامية

(٢٦) السمفونى :

ملحمة موسيقية

(٢٧) الفيتــــو :

النقض

(٢٨) القايش (للموسى) :

المشحذ

(٢٩) المركوب :

(يخصص لهذا النوع من الأحذية ذى الطابع القديم واللون الأحمر)

(٣٠) السيفون (لمرافق المياه) :

صندوق الطرد

(٣١) فوتوجنيك :

ذو وجاهة تصويرية

(٣٢) كتالوج :

دفتر المعروضات

(٣٣) المونوتيب :

السَّبك الحرفى — سابكة حرفية .

أو : الصَّف الحرفى — صفَّافة حرفية .

(٣٤) اللينوتيب :

السبك السَّطرى — سابكة سطرية .

أو : الصف السطرى — صفَّافة سطرية .

(٣٥) البسْتَنة :

تعليم زراعة البساتين وتنميتها وكل ما يتصل بها .

(٣٦) التمصير :

(صبغ الأشياء بالصبغة المصرية ، مثل تمصير رواية أجنبية ، أو تمصير شركة أجنبية) .

(٣٧) التَّوْنسَة :

(جَعل الأشياء تونسية ، نسبة إلى : تونس)

(٣٨) السَّوْدنة :

(جعل الأشياء سودانية ، نسبة إلى السودان)

(٣٩) التعصير :

(جعل الأشياء عصرية ملائمة للحالة الحديثة الحاضرة ، مثل تعصير رواية من النوع الاتباعى (الكلاسيك) ، وإعدادها وفق مقتضيات العصر الحاضر) .

(٤٠) البروتوكول :

العُرف السياسى

(٤١) الردنجوت :

حُلة المرَاسِم

(٤٢) السموكن :

حلة السَّهرة

(٤٣) البنـــو : Pnou

[الإطار] : (الإطار الخارجى لعجلة السيارة)

(٤٤) الشمبراير :

[الأنبوبة] : (الإطار الداخلىّ لعجلة السيارة)

(٤٥) جيلى المربَّى :

الهُلامِيَّة

(٤٦) مرملاد المربّىّ :

المهْروسة

(٤٧) بابيترى : Papeterië

ورّاقة ، وصاحبها : ورّاق

(٤٨) ليبريرى : Librairie

مكتبة ، وصاحبها : كُتُبيّ

(٤٩) قلم الحـــبر :

المدّاد (استعمل حفنى ناصف — لهذه الأداة — منذ خمسين سنة كلمة : الأقلام المدّادة)

(٥٠) المـازورة :

شريط القياس

(٥١) الطـابور :

القِطار (اســتعمله الجيش المصرى فى التشكيلات العسكرية)

(٥٢) برافان :

ساتر (استعملته وزارة الداخلية المصرية)

(٥٣) سويتر :

عَرَقِيَّة ، أو : سُوَيْتر ، (على أن تنطق بصيغة التصغير ، إما باعتبارها تعريباً ، وإما باعتبارها مصغر كلمة : ساتر ، على توهُّم أنها عربية)

(٥٤) نظام البطاقات ، أو نظام الجِرايات ، أو نظام المخصَّصات :

(توزيع المواد التموينية وغيرها بمقادير معينة لا تُتعدَّى)

(٥٥) الدَّورِيَّات :

(المطبوعات التى تظهر فى مواعيد دورية ، يومية كانت أو أسبوعية أو شهرية أو حولية ، وهى الصحف والمجلات والنشرات ذات المواقيت)

(٥٦) شركة أنونيم :

شركة غُفْلِيَّة ، وفى بعض البلاد العربية يقال : مُغْفلة . (شركة ذات أسهم غير مسمى حاملوها) .

(٥٧) الرجيم :

الحِمْيَة

(٥٨) الشفْرة :

(جزء من أداة الحلاقة الشخصية ، ويسمى باسم خاص للتفرقة بينه وبين الموسى الكبيرة التى يتخذها الحلاق المحترف)

(٥٩) الجرتيير :

حَمالة الجَوْرَب

(٦٠) الكمسارى :

المحصِّل (استعملته إحدى شركات السيارات)

(٦١) البلاك أوت :

التَّعْتيم ، أو : الإظلام .

العامية ... الفصحى !

معالم البحث

(١) للعامية أنصار وخصوم — أنصار العامية يكتبون بالفصحى — خصوم العامية يتكلمون بها — العامية لم يفدها الانتصار لها ولم يضرها النعي عليها — الفصحى أداة محكمة غنية بتراثها — الفصحى صلة بين أمم شتى — العامية لهجات متعددة — العامية مقصورة على أداء الحاجات اليومية — العامية قاصرة في الضوابط والنظم — العامية قرينة الأمية — العامية مفتقرة إلى تقعيد وتأصيل لو اتخذت لغة كتابة وتدوين — التكلم بالعامية لا يعفي من دراستها لو كتبت — اللغات التي هي لغات كتابة وحديث معاً تدرس قواعدها ونظمها.

(٢) معرفة كنه العامية أولى من البحث في الصراع بين أنصارها وخصومها — العامية أقدم من الفصحى — كانت لهجات القبائل والعشائر — الفصحى هي القالب المختار لمختلف اللهجات — اللهجات بقيت تتنقل على ألسنة الناس — أشكال اللهجات كل شكل منها يدعى لغة عامية — الفروق بين العامية والفصحى تتفاوت منازلها وأقدارها.

(٣) أم الفوارق ظاهرة الإعراب — قبيلة «تميم» تترك الإعراب — النحاة يعللون ما ورد من الشواهد غير معرب — إسكان آخر

الفعل المضارع محكى عند العرب - الوقوف بالسكون على الأسماء فى حالة النصب منسوب إلى قبيلة «ربيعة» - حذف نون الرفع جائز - الوقوف على المنقوص بإثبات الياء مباح - حذف التنوين لكثرة الاستعمال مسموع - إشباع الكسرة فى تاء المخاطبة لا بأس به - منع الصرف بالعلمية وحدها يجيزه نحاة الكوفة - إبقاء الاسم على صورة إعرابية واحدة محمول على الحكاية - إجراء الاثنين مجرى الجمع من سنن العربية - إطلاق الاثنين وإرادة الجمع تفسر به آية قرآنية - تخفيف الهمزة أو تسهيلها أو تحويلها ياء منقول عن اللهجات - قلب الألف المتطرفة همزة مأثور عن قبيلة « تميم » - إبدال الهاء فى « هل » همزة مسموع عن العرب - إبدال الحرف المضعف ياء محكى عن العرب - إدغام الثاء فى التاء فى مثل « حدته » منصوص عليه - إيثار الياء على الواو فى مثل قنوت وحنوت عربى - ترك المدّ فى اسم الجلالة وارد عن العرب - ضم اللام فى قولنا « تعالوا » وارد فى القراءات ، وكسرها فى قولنا « تعالِى » وارد فى الشعر - حذف النون فى « من » و « عن » واللام والياء فى « على » له أمثلة شعرية - كسر حروف المضارعة من اللهجات - تشديد الحرف الأخير فى : أب ، وأخ ، ويد ، ونحوها من المسموع - فتح باء الجر وكسر لام الجر منقول عن « قضاعة » - كسر الحرف

الأول من نحو بعيد وجديد أجازه النحاة ـ فتح عين « عند » لغة فى كسرها ـ كثير من خصائص العامية محكى فى لهجات العرب ـ لكل قاعدة عامية سند من لهجة عربية ـ جواز الاستناد إلى لهجات العرب فى الكلام ـ كل اللهجات يقاس عليها : رأى « ابن جنى » و « أبو حيان » ـ ما بين العربية والعامية جدير أن يسمى « موافقات » لا « فوارق » ـ ظواهر العامية قديمة فى حياة الأمة العربية ـ بيتان « للموصلى » شبيهان بلغة الأزجال ـ « الجاحظ » يثبت أن المولدين كانوا يتكلمون بالعامية .

(٤) العامية عريقة فى نسب العربية ـ العامية صنعها مجتمع عربى ـ ما نأباه من العامية أنها تناتيش وأحافير وأعقاب ـ العامية ترد العربية إلى وراء ـ العامية تنقض الجهد التاريخى الذى أسلم العربية إلى صيغتها الفصحى ـ هذه الفصحى كسبت تطوراً وعبرت عن حضارات ووحدت لغات ولها تراث فكرى ـ العامية يمكن الاستعانة بها على تطويع الفصحى حتى تكون لغة كتابة وتدوين ـ تأكيد القربى بين العامية والفصحى يهبنا الطمأنينة والثقة فى معالجة الكتابة .

(٥) العامية ليست كلها قواعد نحو وصرف ـ الألفاظ التعبيرية أهم ما فى العامية ـ هذه الألفاظ ذخيرة حية فيها من الدقة والحرارة ما قد يعوز الكلمات المكتتبة ـ الأمة تشحن هـــذه

الألفاظ بثمرات القرائح والأذواق ـ الأديب المصور للحياة الاجتماعية هو الذى يشق بالملاءمة بين الدقة والحيوية وبين التزام الفصيح ـ مؤامرة على الكلمات العامية خوفاً من معرة الابتذال ـ ظلمنا لهذه الكلمات المشردة ترفعاً عن مشابهة اللغة الدارجة ـ الكلمة العامية لا تكون مبتذلة متى أدت وظيفتها ـ حسب الكلمة العامية أن يكون بينها وبين العربية نسب .

(٦) الكلمة العامية إما صحيحة وإما محرفة وإما لحق معناها شيء من التصرف ـ لا تخلو العامية من كلمات دخيلة أو مرتجلة ـ الشنفراني والخنفشار وبعطس أفندى ـ اللغويون كانوا أبر بالكلمات العامية من الكتاب ـ لغوى نزيل مصر يثبت فى معجمه الكلمات المصرية ـ باحثون يدرسون الكلمات العامية ويدعون إليها ولكن دعوتهم تذهب سدى بلا صدى .

(٧) ميدان البحث فى الكلمات العامية لم يسلم من الشوائب ـ الباحثون يتوهمون التحريف ولا تحريف ـ كلمات تتهم بالتحريف وهى منه براء — البحث فى أصول الكلمات العامية يقتضى دقة وإحاطة ومعاناة خشية التجنى عليها والخطأ فى تعليلها .

(٨) تأثرنا بافتراض البعد بين العامية والفصحى ـ مذيع يعدل عن كلمة « السقائين » إلى كلمة « السقاة » — وزارة التموين تعدل

عن كلمة « المدشوش » إلى كلمة « المجروش » — الأطباء يعدلون عن كلمة « فتح البطن » إلى كلمة « شق البطن » — كلمات فصيحة نتركها ونستعمل غيرها لورودها على ألسنة العامة — استعمالات عامية نعثر عليها فى كتب الأدب القديم مثل « طيب » و « وجب » و « مجلس حظ » — تعبيرات عامية يسفر عنها التنقيب فى المعجمات مثل : « فم الغسيل » و « هلا هبّ » والحلف « بالأمانة » — جملة من الكلمات العامية الفصيحة .

(٩) فى العامية كلمات عربية أشربت مدلولات جديدة — هـــذه الكلمات عاشت مع الناس فتصرفوا فيها وفق الدواعى والحاجات — هذه الكلمات زبدة خبرة ، وثمرة تجربة — هذه الكلمات تقطير لذوق الأمة البيانى وفنها التعبيرى — يجب أن نلحق هذه الكلمات بالبيان العربى لإغنائه بها — نحن نقتل بنات الشفاه العامية — هذه الكلمات الموءودة تسألنا : بأى ذنب قتلت — قبلت اللغة من الكاتبين ما يسمى « التوليد » فى الكلمات ، فلماذا لا نقبل مثله من اللسان الدارج — ربما كانت الكلمة العامية أدل وأقوى — ربما كانت الكلمة العامية لا مقابل لها فى الفصحى .

(١٠) العامة يفرقون بين « باش » و « ساح » و « ذاب » — العامة يفرقون بين « بص » و « تبصص » و بصبص » — العامة

يفرقون بين « الحلة » و « القدرة » — معنى كلمة « النقطة » — معنى كلمة « المشوار » — معنى « صـــوتت المرأة » و « سمعت صواتها » — معنى قول العامة : « فلان غلب » — معنى قولهم : « فلان يشب » — معنى قولهم : « رجل حقانى » — معنى قولهم فى وصف المصباح : « مدخمس » — معنى قولهم : « رجل منا كف » .

(١١) الكاتب القصصى أو الروائى المسرحى أحوج ما يكون إلى كلمات العامة فى الوصف والتصوير ، وفى مساق الحوار — الدلالة التأثيرية الخاصة للكلمات الشعبية — نموذج حوار رجل وامرأة — نماذج من حديث إحدى النساء — هذه النماذج كلها على تغلغلها فى العامية عربية فصيحة .

(١٢) بين العامية والفصحى ستار موهوم يجب أن نجلوه عن العيون — يجب فتح الباب على مصراعيه للكلمات العامية — تسميتها بالعامية جنت عليها — فلنسمها : العامية... الفصحى !

(١)

لم نختلف نحن فى شىء من قضايا اللغة قدر اختلافنا فى شأن اللسان العامى ، أعنى لغة المشافهة والخطاب .

كان للعامية ، منذ مطلع هذا القرن الحاضر ، أنصار وخصماء . فمن القوم من يغالى بها ، ويهتف بحياتها ، منادياً بأن تكون لغة الكتابة والتدوين ، ومن القوم من يتمنى أن لو كانت العامية رجــلا ليقتله ، حتى تسود الفصحى كل السؤدُد ، فتصبح أداة الحديث الدارج فى البيت والسوق .

ولقد حارت هذه العامية بين أنصارها وخصمائها جميعاً ، فإن الذين يظاهرونها على الفصحى يكتبون أفكارهم ويترجمون عن ذات أنفسهم بالفصحى ، وإن الذين يكرهون العامية أشــد الكره ، ويتمنون قتلها شَرَّ قِتْلَةٍ ، يتبادلون بها حديثهم الدارج فى الكراهية والتآمر على القتل الذريع .

وكذلك لبثت العامية فى مكانها ، لا تتقدم ولا تتأخر . . . لم يُفِد منها ناصر ، ولم يَنَل منها خصيم . . . فلا هى بلغت بتلك

الناصر أن تكون مُكتَتَبَة بقدر ملحوظ ، ولا هي فقدت بهذا الخصيم شيئاً من سلطانها على ألسن الناس .

وما كان الكاتبون ليطمئنوا إلى اطراح الفصحى فى يسر ، وهم يجدونها بين أيديهم أداةً محكمة ، قواعدها مضبوطة ، وسُننها واضحة ، ونطقها متقوِّم ، ولها ميراثها العريض فى ضروب العلم والأدب والتشريع ، وأصالتها المكينة فى مناحى التفكير والتعبير والإفهام ، وهى بعد ذلك لغة أمم متعددة ، بينها وشائج من الدم والدين والتاريخ ، إلى مَشَابِه فى الحياة الاجتماعية تكاد تجعل منها قومية واحدة ، بين أجزائها تلاحم والتئام .

وما كان الكاتبون ليستجيبوا إلى اتخاذ العامية لغة كتابة وتدوين ، وهم من هذه العامية بين لهجات تتباين أو تتفاوت ، وليس تباينها وتفاوتها يقتصر على الأمم المتعددة فى بلاد متباعدة ، ولكنه يكون فى الأمة الواحدة بين صُقع وصُقع . وهى فى جملتها مقصورة على أداء الحاجات اليومية فى مجالها العام ، لم تمارس غيرها من مطالب الحياة العلمية والأدبية والاجتماعية فى رقيها وتقدمها مع الزمن ، ولم تُدرَس لها قواعد تحفظ عليها السلامة وتصونها من الفوضى ،

ولا وُضِعَت لها ضوابط تحكمها وتردها إلى نطاقٍ من الصواب. ومَنْ عالج كتابتها تصدَّت له مع ذلك عقبات من إملائية البدائيّ، لا يرجع فيها إلى نظام محرَّر، ومعالم مجلوة. عسيراً كان أمرها أو غير عسير.

وثمَّة عامل نفسى يصمُ هذه العامية بالتخلف، ويصدها عن مغالبة الفصحى، ذلك أن العامية قرينةُ الأمية، ومظهرها الشامل، وأن الفصحى مدْرجة التعليم، ولسانه المبين. فالدعوة إلى العامية تُنافِى ما يغمرُ جوانح الأمة من شعور التسامى إلى محو الأمية، بتعميم المعرفة، وإشاعة التنوير الفكرىّ، وبسط الثقافة إلى أبعد مدى. والدعوة إلى تسويد الفصحى تطاوع تلك المشاعر النفسية فى الأمة، وتجارى الدافع الطبيعىّ للرقى الاجتماعى، وكل دعوة تتغاضى عن النزعة النفسية العامة، وتستخفّ بالطبائع الاجتماعية، الدافعة، دعوة ذاهبة مع الريح.

والدعاة إلى العامية يذكرون فيما يبعثهم على دعوتهم تلك أن الفصحى يعانى أهلها ممارستها بالدرس، ويكتسبون ملكتها بالتلقين، وأن المتعلم يبذل فى هذا التمرس والاكتساب كبيراً من الجهد،

ويلاقى مزيداً من العنت ، سواء فى قواعد النحو والصرف ، وفى خصائص اللغة . وفى شرائط الإملاء ، ويحسب هؤلاء أن العامية إذا اتخذت لغة كتابة وتدوين ، لم تفتقر إلى شيء من القوانين والضوابط على مثل ما هو فى الفصحى ، ولكن الحق أننا لو كتبنا العامية لكان لزاما علينا أن نضبط النطق بها كل الضبط ، وأن نؤصل أصولها فى تصريف الكلام أدق تأصيل ، حتى نستخلص مافيها من قواعد وضوابط وقيود ، ثم نمهد سبيل رسمها بالحروف ، ونعين فى كتابتها مقاطع الفصل ومواضع الوصل ، وبذلك نخرج من نحو الفصحى وصرفها وخصائص كلماتها وطرائق إملائها إلى بديل من نحو العامية وما يكون فيها من تصريف وخصائص كلمات وطرائق إملاء .

ولن يُعْفينا من تعقيد العامية وتأصيلها أننا ننطق بها من غير تلقين ، ونزاولها دون درس ، فإن اللغات الأجنبية ، وهى فى الجملة لغات كتابة وحديث معاً ، يتدارسها أهلوها فى معاهد التعليم ، ويتلقنونَ قواعدها فى النطق والتصريف والتدوين ، تأميناً لها من الزيغ والانحراف ، وحرصاً على سلامتها فى الاستعمال .

(٢)

فلندع هذا الصراع يدور سجالا بين شيعة العامية والمستمسكين بالفصحى ، ولننظر فى كنه هذه اللغة التى كانت محور النزاع والصراع .

الحق أننا بإزاء لغـــة غير محدثة ، وما الفوتُ بينها وبين الفصحى ببعيد .

هذه العامية أقدم من الفصحى عهداً ، وأعرق منها إلى العروبة نسباً ، وفى مقدورنا لو أتيحت لنا كتابة العامية أن نقول بأننا نكتب العربية ولا مراء .

لقد عاشت خصائص تلك العامية فى العصور العربية الأولى ، إذ كانت لهجات لمختلف القبائل والعشائر ، جرت عليها طبائع النشوء والارتقاء ، ومرت بها أطوار تنازع البقاء .

وعلى ترادف من الأيام وبعون من عوامل وملابسات ، ألفينا هذه اللهجات المتخالفة تتجمع وتختمر ، وتتخذ لها قالباً هو الذى سميناه : الفصحى ، فكان هذا القالب صيغة مختارة ، وصورة مُزكاة ، ينطوى على النقاوة من خصائص اللغة ، به نزل القرآن ،

وفيه تَصبّ الشاعر والناثر روائع البيان .

بيد أن اللهجات المتخالفة بقيت على الأيام تتدسّى في الحديث الدارج بين الناس . فكلما ذهب أهلوها مذهباً في الأرض انتقلت معهم تحمل آثارها على الأفواه ، يرثها جيل عن جيل ، ويُسلمها عصر إلى عصر ، حتى انتهت إلينا في يوم الناس هذا ، وقد تشكلت أشكالا في بلاد الناطقين بالضاد ، كل شكل منها ندعوه : لغة عامية .

بين هذه العاميات المتعددة وبين الفصحى مميزات وفروق ، بعضها له كبيرُ شأن وبعضها لا شأن له ، ولسنا بقادرين على أن نحصر هنا كل هاته المميزات والفروق . فلنقتصر منها على الأمهات والرءوس ، إلى طرائف ومُلح ، نُلمّ بها إلمامة عاجلة .

(٣)

أُمُّ الفوارقِ بين العامية والفصحى ظاهرة الإعراب ، فإن العامية لا تُعْرِب إلا في النَّدْرَة ، وقد حكى اللغويون ترك الإعراب عن «تميم» ، وذهب النحاة مذاهب شتى في تعليل ماوجدوه من الشواهد والأمثلة غير مُعْرَب ، فقالوا إنه تخفيف ، أو إنه وصل بنيَّةِ الوقف ، أو غير ذلك من عبارات تقليدية .

ومما يتصل بالإعراب إسكان آخر الفعل المضارع فى الوصل، فتقول: أخى يسافرْ معى ، وهو محكىٌّ عن العرب ، وعليه بعض القراءات فى آيات من التنزيل .

ويتصل به كذلك الوقوف بالسكون على الأسماء فى حالة النصب ، مثل: أكلت كبابْ ، وشربت شرابْ ، وقد نُسِبَ ذلك إلى قبيلة « ربيعة » .

ويتصل به كذلك حذف نون الرفع ، لغير ناصب أو جازم ، فتقول : أنتم تُحِبُّوا الحق ، وهو جائز فى فصيح الكلام ولو لم تكن هناك ضرورة .

ويتصل به كذلك الوقوف على المنقوص بإثبات الياء ، كما نقول: الدنيا تلاَهِى، واللَّعب تسالِى ، وقد حُكِىَ جوازه ، وبه قرىء قوله تعالى : ولكل قوم هادِى ، وقوله تعالى : وما لكم من دون الله من والِى .

ويتصل به كذلك حذف التنوين فى مثل قولنا : سَلاَمُ عليكم ، وهو محكىّ عن العرب . وعليه ما قرىء من قوله تعالى : ولا الليل سابق النهارَ . وتعليل الجواز فى هذا الحذف كثرة الاستعمال .

ويتصل به كذلك إشباع الكسرة فى تاء المخاطبة ، حتى تنشأ ياء ،

فتقول للمرأة : أنت أكاتبيه وشربتيه ، وذلك مسموع ، وقد ورد في حديث نبوي في مخاطبة امرأة : لو راجعتيه . . .

ويتصل به كذلك منع الصرف بالعلمية وحدها ، فتقول : عباسُ حضر ، ورأيت عباسَ ، وقد أجازه الكوفيون من النُّحاة ، لِمَا صحَّ عندهم من وروده عن العرب .

ويتصل به كذلك إبقاء الاسم على صورة واحدة من الصور الإعرابية في مختلف مقامات الكلام ، فتقول : هذه بَنِي سويف ، ولقيت أبُو علي ، وقد حمل النحاة مثل ذلك على الحكاية ، وعللو بها ما قرئ من قوله تعالى : « تبت يدا أبُو لَهَب » .

ويتصل به كذلك إجراء الاثنين مجرى الجمع ، في مثل : رجلان جاءوني ، وهو من سُنَن العربية ، وقَصَّ عن الشعبي قاصّ أنه نطق بهذه العبارة في مجلس عبد الملك بن مروان . فقال له : لحنت ياشَعْبِيّ ، فقال : لم ألحن يا أمير المؤمنين مع قول الله : هذان خصمان اختصموا في ربهم . وكذلك يذكر اللغويون من أمثلته ماورد في حديث غزوة أُحد : رأيت عائشة وحفصة حاسرات .

وشبيه به إطلاق الاثنين وإرادة الجمع . كما تقول : أعطيته قرشين

وكلمة كِلْمَتَيْن ، وليس ذلك بمنكور فى العربية ، فقد فسر به قوله تعالى: فارجع البصر كَرَّتَيْن ، إذ المقصود التكرير لا التثنية.

ومن الفوارق النحوية والصرفية بين العامية والفصحى تخفيف الهمزة وتسهيلها أو تحويلها ياء ، كما نقول : رَاس فى : رأس ، وناكلْ فى : نأكل ، وبير فى : بئر ، وبَايِع فى : بائع . وتوضَّيْت فى : توضأت . وقد نقل النحاة جواز ذلك كله . وعَزَوْهُ إلى مراجعه من لهجات العرب .

ومنها قلب الألف المتطرفة همزة ، فنقول : لأ ، فى : لا ، وهو مما أثر عن « تميم » .

ومنها إبدال الهاء فى « هل » همزة ، كما نقول : آل فلان حضر ؟ نريد : هل . وهو لغة مسموعة .

ومنها إبدال الحرف المضعَّف ياء ، كما نقول : قصّيت الشعر فى : قصصت . وعدّيت الورق فى : عددت ، وشمّيت الفل فى : شممت . وقد حُكى ذلك عن العرب .

ومنها إدغام الثاء فى التاء فى مثل قولنا : حَدَّتُّه ، نريد : حدثته . وقد نقل « ابن سِيده » أن ذلك مما سمع عن العرب مدغما .

ومنها إيثار الياء على الواو في مثل قولنا : قَنَيْت وَحَشَيْت وَدَعَيْت وشَكَيْت ، بدلا من : قَنَوْت وَحَشَوْت ودَعَوْت وشَكَوْت ، وقد نظم «ابن مالك» قصيدة في الأفعال التي تجيء لاماتها بالواو والياء على السواء ، فما ينطق به العامة عربيّ مسموع .

ومنها ترك المد في اسم الجلالة ، كما تقول: بِسْمِ اللهْ ، وعَبْدَ الله . وحمد اللهْ على السلامة . سجل اللغويون سماع ذلك عن العرب ، وأنشدوا قول الشاعر :

أَقْبَلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللهْ

ومنها ضم اللام في قولنا : تَعَالُوا نعمل ، وكسرها في قولنا : تَعالِي نسافر ، وقد حُكِيَ ذلك عن العرب ، وبضم اللام قرئ قوله سبحانه : يأهل الكتاب تعالُوا إلى كلمة سواء . . .
وبكسرها يروى قول الشاعر :

تعالِي أقاسمك الهمومَ تعالِي

ومنها حذف النون في « من » ، واللام والياء في « على » .
فتقول : اشتريته مِ الشارع ، ولقيته عَ الشاطىء . وليس

هذا بِدْعاً فى لغة العرب ، فالمتنبي يقول :

نحن ركب مِ الجِن فى زى ناس فوق طير لها شخُوص الجمال

ويُنشَد لشاعر إسلامى قولُه :

وللموت خير لامرئ من حياته بدارةِ ذل عَ البلايا يقر

ومن أوجه الخلاف فى حركة الحروف بين العامية والفصحى كسر حروف المضارعة ، فنقول : أنت تِعْلم ، وهو يِحْسِب ، وتعالوا نِسَافر . وهى من المَحْكِى فى اللهجات ، وبه قرئ قوله تعالى : إياك نِسْتَعين .

ومنها تشديد الحرف الأخير فى كلمات : أبّ ، وأخّ ، ويدّ ، وفمّ ، وهوّ ، وهىّ ، وكل هذا مما أثبته علماء اللغة ، وأوردوا عليه الأمثال .

ومنها فتح باء الجر ، فى مثل قولنا : استعنت بَك ، وكسر لام الجر فى مثل قولنا : المال لِكْ . ونجد هذا الكلام العربى ، منسوباً إلى « قُضاعة » .

ومنها كسر الحرف الأول من نحو كلمات : بِعيد ، وسِعيد ، وجِديد ، وشِعير . وقد أجازه النحاه ، وإن قيدوه بأن تكون عين الكلمة حرف حلق .

ومنها فتح الحرف الأول من كلمة « عند » فنقول : النقود عَنْدك ، واللغويون يقولون إنها لغة فى « عِند » بالكسر .

إلى غير ذلك مما تتباين فيه العامية والفصحى ، ولكننا نجده فيما حكوا من لغات ولهجات تتفاوت فى درجات الجودة والشيوع ، وهو كله مما تخلصت منه لغة الكتابة والتدوين ، وبَقى على الألسن فى لغة المشافهة والحديث .

ولعلنا لو قصصنا أثر العامية ، وتقصَّينا ما فيها من خصائص وضوابط ، مما ينأى بها عن الفصحى ، ثم عزَوناه إلى مَناشئه فى اللهجات ، ومراجعه من ألسنة العرب ، لما أعيانا من ذلك شئ ، ولتسنّى لنا أن نثبت لكل قاعدة فى النطق العامى سنداً من لهجة عربية كان لها كيانها فى غوابر العصور ، وصدق « الحجاج البلوى » إذ يقول فى كتابه « ألف باء » : « يكاد لاتتكلم العامة بشئ إلا وله أصل ومعنى ، عَلِمَه من علمه ، وجهِله من جهِله » .

ولا سبيل على الذين يجنحُون إلى الاحتجاج لهذه العامية ، لو أرادوا أن يستندوا فى ذلك إلى انبثاقها من لهجات العرب . فإن الرأى اللغوى فى اختلاف اللهجات أنها كلها حُجَّة ، وأنها كلها مما يقبل القياس ،

ويقول «ابن جنّى» فى هذا الصدد : « إن الناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطىء، وإن كان غيرُ ماجاء به خيراً منه»، ويقول « أبو حيان » : « كل ما كان لغةً لقبيلة قيسَ عليه » .

فهذا الذى نجده من ظواهر العامية ، ونسميه فوارق بينها وبين الفصحى ، ليس فى الحق فوارق بينها وبين العربية ، وربما كان الإنصاف يقتضينا أن نسميها موافقات ، ونحن إذا سميناها فوارق فلأننا نلحظ فى ذلك أنها تفرق بينها وبين لغة الكتابة والتدوين ، لا بينها وبين العربية فى معناها العام ، وفى شمولها لما جرى على ألسنة العرب جميعاً من لغات ولهجات .

وقد كان الكثير من ظواهر هذه العامية دائراً على الألسن منذ أقدم العصور ، فليست هذه الظواهر بنت الأمس القريب، ولا وليدة العهود الخوالف . ومن الطريف أن نقرأ فى كتاب « الأغانى » بيتين يُنسبان إلى «إبراهيم الموصلى» إمام الموسيقى فى صدر الدولة العباسية ، لهجتهما كمثل لهجتنا العامية اليوم ، فهما أشبه بما سميناه «الزَّجل» ، ونصهما :

أَنا جتْ من طُرقْ مَوصل   أَحملْ قللْ خمرياً
من شارب الملوك فلا   بُد من سكريا

ويقول « الجاحظ » : « إن الإعراب يفسد نوادر المولدين » ، وهو يدل بذلك على أن الإعراب كان فى أيامه متروكا بين المولدين فيما يتطارحون من أحاديث ، والمولدون فى ذلك العهد هم معظم الأمة العربية وكثرتها الغالبة .

(٤)

لسنا نأبى العامية إذن لأنها طارئة فينا مُقْتحمة علينا تنزل من العربية منزل الدخيل من الأصيل ؛ فهى عريقة فى نسب العروبة ؛ وهى من صنع مجتمع عربىّ اللسان صميم ، ولكننا نأبى منها أنها تناتيش لغات تهشّمت ، وأحافير لهجات تهدَّمت ، وأعقاب ألسنة لم تبلغ الأوج ، فهى ترد العربية إلى وراء ، حيث كانت القبائل متناكرة النطق ، متغايرة اللهجة . وهى كذلك تنقُضُ الجهد التاريخى الجماعىّ الخطير ، ذلك الجهد الذى أسلم العربية إلى صيغتها النقية الصافية ، صيغة الفصحى . فكأننا باستحياء العامية ، أو العاميات المتعددة فى بلاد الناطقين بالضاد ، نرجع القهقرى إلى الجاهلية الأولى ، لنستقبل فى غدنا سعياً زمنياً جديداً ، وجهداً جماعياً موصولا ، نبغى به توحيد العربية وتنقيتها وإفراغها فى قالب محكم

رصين ، حتى نصل بها إلى مثل هذه الفصحى عَوداً على بدء .

لقد كسبت الفصحى ضروبا من التطور ، بما سايرت من أحقاب الزمن ، وما عاشرت من أشتات الأمم ، وما تمرَّست به من ألوان التجارب . فطاوعت الحياة فى مراحل التقدم البشرى ، وعبرت عن حضارات تعاقبت فى دهور طوال ، وما ينبغى لها أن نستبدل بها اليوم صورة شاحبة منها ، بدائية فيها ، تباعد بيننا وبين هذا التوحيد اللغوى الذى ظفرت به الأمة العربية بعد لأى ، ويقطع ما بيننا وبين ذلك التراث الفكرى الذى نصل ماضيه المجيد بحاضرنا المرموق . لاخير فى الدعوة إلى إحياء العامية ، واتخاذها لغة كتابة وتدوين ، ولكن الخير كل الخير فى أن ندرس قواعد هذه العامية ، ومراجعها من اللهجات العربية ، حتى أن نستعين بها فى إمداد قواعد الفصحى بما يوسع أقيستها . وما يعالج مشكلاتها التى تعانيها فى الوفاء بحاجات مجتمعنا الراهن ، لكى نكفل لها أسباب اليسر ، ونواتيها بالمزيد من المرونة والطواعية ، وبذلك نزودها بعوامل النماء والازدهار ، ونذلل ما يعترض طريقها من عقبات ، رجاء أن نبلغ بها المأرب البعيد ، والأمنية القصوى ، فتكون لغة

المخاطبة والحديث ، كما هي لغة الكتابة والتدوين .

كذلك من الخير أن نؤكد لأنفسنا هذه القربى بين العامية والفصحى ، ففي هذا التأكيد ما يهبنا الطمأنينة والثقة حين نمسك بالقلم لنعالج الكتابة بلغة غير لغة الحديث ، فلا نتوهم أننا ننتقل من لغة إلى لغة ، وبينهما بون بعيد ، بل نعرف أن قصارى عملنا في الانتقال من لهجة الحديث إلى لغة الكتابة ، إنما هو مجرد صقل للكلمة، وتقويم للنطق ، وتعديل للجملة ، ورعي لمقتضيات الفصحى في مقام التعبير ، فنقارب بين أسلوب الكتابة وأسلوب التخاطب ما أمكن التقارب ، لنيسر للقارئ أياً كان شأنه سبيل التبيُّن والفهم ، ونيسر للكاتب أيةً كانت قدرته سبيلَ الإبانةِ والإفهام .

(٥)

ليست العامية كلها خصائص نطق ، وقواعد تعبير ، مما يرجع إلى ما اصطلحنا على تسميته بالنحو والتصريف . فثمة في العامية ناحية أجل شأناً وأعمق أثراً وأبعد مدى . تلك هي ناحية الألفاظ التي تدور بين الناس ، بها يفهم بعضهم عن بعض ، وبها يعبرون عما في الحياة من المعاني والأشياء ، ويترجمون عما يقوم بأنفسهم من المشاعر والأحاسيس .

تلك ذخيرة من الألفاظ لا يتمثل فيها مجرد الخصائص الصوتية أو اللسانية التى تتميز بها اللهجات ، ولا مجرد القواعد النحوية والصرفية التى تختص بها اللغات ، وإنما تكمن فى هذه الذخيرة اللفظية فوق ذلك كله حيوية الأمة فى الإفصاح عن حاجات العيش ومقتضيات الحياة ، وتستبين فيها مالها من دقة فى التسمية والوصف والتصوير ، ويتجلى فيها ذوقها الفنى فى الإبانة والإبلاغ والتأثير .

يخطئ من يحسب أن هذه الألفاظ شئ هين . فإنما هى فى الحق كنز ثمين ، لأنها خلايا حية فى كيان الأمة اللغوى ، وأمداد قوية تجرى فى قدرتها على الأداء مجرى الدم فى العرق ، فما استعمل الناس منها لفظاً إلا لمعنى ، ولا أضيف إليها لفظ إلا لحاجة ، ولا أتيح البقاء بينها للفظ إلا لضرورة . فهذه الألفاظ فى مداجتها للحياة اليومية ، وفى مخالطتها للناس فى شئونهم الدائرة ، تحمل من دقة الدلالة ، ومن سرعة الأداء ، ومن حرارة التعبير ، ما لا تحمل الألفاظ المكتتبة التى تتناقلها الأقلام .

لقد تصرفت الأمة فى نشوء الكلمات العامية وتطورها كما تصرف أهل الفصيح فى نشوء كلمات الفصحى وتطورها خلال القرون

والأحقاب ، فأودعت الأمة هذه الكلمات العامية ما اختاجت به نفوسها ، وما تمخضت عنه قرائحها ، وما هـــدتها إليه أذواقها ، ومن ثمّ كانت تلك الكلمات مشحونة بقوى من المعانى والدلالات بليغة الأثر ، موصولةً بتيار من الألفة ينسجم فى مجتمع الناس .

ولنصارح أنفسنا بأننا إذ نكتب ما نكتب ، فإنما نعبر عن أكثر ما نعنى من ألفاظ العامية بألفاظ من الفصحى ، ونحاول أن نصطنع من التعبيرات الفصاح ما يسد مَسدّ التعبيرات الجارية فى لغة التخاطب ، وفى كثير من الأحيان لا يكون للكلمة الفصيحة أو الجملة الطويلة ، من الوقع على السمع ، ومن قوة التأدية ، ما يكون للكلمة العامية الدائرة على أفواه الناس فى معناها المقصود .

والأديب المصور للحياة الاجتماعية على اختلاف درجاتها وأعماقها أشق الكاتبين بهذا الصنيع ، وأشدّهم معاناة للجهد فى الملاءمة بين مطالب الدقة والنصوع وبين التزام الفصيح من الكلام . فهو يرى أشتاتا من الكلمات العامية أقدر على إظهار الجو ، وتجلية الروح ، وتحرير الوصف ، وتبيين الحوار . وإذا هو تنكّبَ عن هذه الكلمات إلى بديلها من كلمات الفصحى خرجت صوره

التى يرسمها للشخصيات والأحداث فى بعض الأحيان ، عليها مسحة من شحوب ، تنشر فيها خفقة الحياة .

لقد تآمرنا على هذه الكلمات العامية كل التآمر ، فكفرنا بها أشد الكفر ، وتعففنا عنها ما وسعنا أن نتعفف . وعددنا اصطناعها فى لغة الكتابة تبذلا فى التعبير ، وتنزلا عن شريف المقال . فأسأنا إلى أنفسنا بذلك إساءة بالغة ، إذ حجرنا على أقلامنا أن تجرى بكلمات عامية دانية القطوف ، سهلة المجتنى ، وبعثناها تكابد الحيرة والعنت فى اصطياد ما يقابل هاتيك الكلمات من وادى الفصحى ، مذعنين لما قد يعوز الكلمات الفصيحة من دلالة مقصودة ، خاسرين ما فى الكلمات العامية من دقة فى الدلالة ، ومن ألفة بين الناس .

ما كان أظلمنا للكلمات العامية المشردة ، تلك التى استنكرنا أن نقيدها بالكتابة ، ونمد بها لغة التدوين . ومبلغ عذرنا فى إهمالها والاستبدال بها أننا نغلو فى إيثار الفصيح ، وأننا نترفع عن مشابهة العامة فيما يدرج على ألسنتهم من لغة الحديث .

علينا بادئ بدء أن ننفى عن الكلمة وصمة الابتذال ، بحجة

أنها من كلمات العامة ، فإنها إذ تدور على الألسن ، وتتأدى بها مهمة التخاطب ، تدل بذلك على أنها سدّت حاجة ، وأثبتت كفاية ، وأصبحت خليقة أن يُقام لها وزن واعتبار .

لننظر إلى الكلمات العامية نظرة لا زراية فيها ولا امتهان ، وحسبُنا منها فى أول الأمر وآخره أن تكون بينها وبين العربية وشيجة ، وأن يكون قد جرى فيها من التصرف مثلما يجرى فى كلمات الفصحى .

(٦)

الكلمة العامية التى لا نستعملها فى لغة الكتابة بين حالات ثلاث: فإما كانت صحيحة فى اللغة كما يستعملها الناس ، ولكنها قابعة فى المعجمات ، قلّما مسها قلم إلا ذلك القلم الذى يستأنسُ عليها مستودعات اللغة . وإما طرأ عليها ألوان من التحريف والإبدال يسيرة أو غير يسيرة ، فانتُقصَ منها حرف ، أو زيدَ عليها حرف ، أو أحلّت فيها حروف مكان حروف . وإما كان وجه الخلاف بينها وبين الفصحى ضرباً من التخصيص أو التعميم ، وشكلا من الإطلاق أو التقييد ، وشيئاً من النقل أو التوسع وسائر علاقات

المجاز ، إلى غير ذلك من تصرف مأنوس في التطور الطبيعي للكلمات في مختلف اللغات .

لا تخلو اللغة العامية مع ذلك من كلمات أجنبية دخيلة ، ولعلها لا تخلو كذلك من كلمات زائفة مرتجلة . ولكن معظم كلماتها عربيّ لحماً ودما ، فالحروف عربية ، والصيغة عربية ، وطريق الاشتقاق عربي ، والمنحى في الانتقال من المعنى الأصيل إلى المعنى الدارج منحىً عربيّ .

يُرْوى أن « بشار بن برد » سُئِلَ عن معنىً « الشنفراني » من قوله في وصف حمار :

« وخدّ مثل خدّ الشَّنْفَرَاني »

فقال : هذا من غريب الحمير !

وينقل رواة الأخبار أن لغوياً كان يتباصر بالغريب من الألفاظ ، وكان عريض الدعوى في المعرفة باللغة ، فأتَمَرَ به بعض الظرفاء من العلماء ليشهّروا به ، ويشنعوا عليه . وصنعوا له كلمة « الخُنْفُشَار » ابتداعا واختراعا ، وسألوه عنها ، فأجاب : هي حَشيشة يُعْقَد بها اللبن في البادية ، وأنشد :

لقد عُقِدَتْ محبتها بقلبي كما عَقَد الحليبَ الخُنْفُشار

ويحكى أن أديباً معاصراً كان فى رفقة من أصحابه ، فعطس أحدهم فى وجهه عطسة مفاجئة أنكرها منه ، فقال له : ما هذا؟ فأجابه : ماذا ؟ أنا باعطس . . . « يريد : ماذا فى أن أعطس ؟ » . فقال له الأديب : أهلا « بعطس أفندى » ، فأطلق عليه هذا الاسم من تلك الساعة ، فلَازَمَه حتى أتاه هادم اللذات ، ومفرق الجماعات !

فإذا كان فى العامية قليل من « الشنفرانية » و « الخنفشارية » و « البعطسية » فإن فيها كثيراً من الكلمات التى لا تجانبها الفصاحة ، ولا تُعوزها أواصر النسب العربىّ الأصيل .

إن أساطين اللغويين ، والقَوَّام عَلى تصنيف المعجمات ، هم الذين لا ينتظر منهم أحد أن يَبَرُّوا كلمات العامة ، وأن يُحِلُّوها محلها من التقدير ، لمحافظتهم على جوهر اللغة الصميم ولبابها الخالص ، فأما الكُتَّاب فهم الذين كان يُرجى منهم أن يسارِعُوا إلى الكلمات العامية ، لمكان حاجتهم إليها فى الوصف والتعبير ، ولكن الذى حدث كان غيرَ هذا الذى يُتوقع ، وغير هذا الذى يُوحِى به المنطق ، إذ أن اللغويين والمعجميين كانوا فى الواقع أَبَرَّ بالكلمات العامية من الكُتَّاب .

ذلك عالم لغوى جليل المكانة ، نزل « مصر » منذ مائتى سنة ، هو « السيد مُرْتَضَى الزَّبِيدى » صاحب « تاج العروس » ، أبَى إلا أن يذيل كل مادة من مواد معجمه الموسوع ببعض ما يتصل بها من كلمات مصرية ، ولم يقنع بهذا وحده ، فألَّفَ فيما بعد كتاباً سماه : « الذيل والتكملة » ، واستكثر فيه من تلك الكلمات التى تجرى على الألسنة فى « مصر » ، وعلى الرغم من أن « الزبيدى » لم يكن مصرى المولد والمنشأ ، فقد اتجه هذا الاتجاه فى معجمه وفى تأليفه ، وفاء منه للغة « حارة الغَسَّال » القاهرية ، تلك التى احتوته حين كان يكتب ويؤلف ، وتقديراً منه لتطور معانى الكلمات العربية فى وطنٍ من أوطان العروبة ، هو « مصر » .

وقبل « الزبيدى » وبعدَه عُنِىَ غيرُ واحدٍ من علماء اللغة بدراسة اللهجات والكلمات العامية ، وتحقيق نَسَبِها من العربية ، ولهم فى هذا الباب مؤلفات وتعليقات .

وفى إبان النهضة الحديثة ، خلال القرن الحاضر ، انتبه جمع من الباحثين لكلمات اللغة العامية ، فأولوها جانبَ اهتمام ، تارة ينوِّهون بما فيها من كلمات صحيحة ، وطوراً يحققون أصولها ، ويبحثون فيما طرأ

عليها من تحريف ، ليردوها إلى الفصحى . بَيْدَ أن هذه الجهود على كثرتها وتتابعها مازالت مطمورة أو مبعثرة ولم يتح لدعوتها أن تكون جهيرة الصوت ، بعيدة الصدى ، تبلغ مبلغ التأثير الإيجابي بين جمهرة الكاتبين .

(٧)

على أن ميدان البحث فى أصول الكلمات العامية لم يسلم من الشوائب ، فمن الباحثين من يسيئون الظن بالكلمة العامية قبل أن يتبيَّنوها ، فتراهم يتجهون أول مايتجهون إلى توهّم ماعسى أن يكون قد دخل عليها من تحريف ، لكى يردوها إلى كلمة فصيحة غير محرفة ، على حين أن الكلمة ربما كانت فى صيغتها العامية ، وصيغتها الدارجة ، صحيحة فصيحة ، لا تفتقر إلى إعمال فكر ، أو استنجاد علم ، أو تكلف فى التخريج .

ومن أمثلة ذلك ما قاله الباحثون من أن « تعتعه » محرفة عن : تحتحه . وأن «جعجع» مقلوبة عن عجعج ، وأن «نغَزه» معدولها : نزغه ، وأن « دُكمكم » صحيحها : مكمَّم ، وأن « انكشحَ » فصيحها : انقشعَ ، وأن « يُضاديه » صوابها : « يضاده » ، وأن « نَكَش » مبدلة من : نجَش ، وأن « لهْوجَ » مغيَّرة من : لهْوقَ ... فهذه الكلمات التى أنزلها الباحثون منزلة الظِّنَّة والاتهام ،

معدودة فى الكلمات الصِّحاح ، مثبتة فى المعجمات .

وفى الباحثين من يفسر أصل الكلمة بأقرب ما توحى به ، وأظهر ما ترجع إليه ، فيخطىء فى هذا التسهُّل خطأَ المبْعد فى التصعُّب .

ومن أمثلة ذلك فهْم كلمة « الحرامى » بمعنى اللص على أنها نسبة إلى الحرام ، مع أن الكلمة من بقايا حقيقة تاريخية فى عصر بعيد ، تلك هى أن قبيلة « بنى حرام » كانت تتّهم بالخبث والتلصُّص ، فقيل فى كل من يستحْقر ويسرِق هو : حرامى .

وفى الباحثين من يخطئه التوفيق فى تحرير ما لحق الكلمة من تحريف ، فيركب فى التأويل متْنَ الشَّطط ، حتى يُسْند الكلمة العامية مُسنداً تطمئن إليه العربية فيما يرى .

ومن أمثلة ذلك قول الباحثين إن « شحت » مأخوذة من : شحذ ، وإن «بحتره» منقولة عن «بعثره» ، على حين أن التغيير فى الكلمتين ليس بكبير ، وهو يرجع إلى أن العامة يستبدلون بالثاء تاء فى النطق ، وفى اللغة : شحث وبحثر ، ومن معانيهما ما يشترك مع المعنيين اللذين يقصدهما العامة .

ومن الأمثلة ما يعمد إليه الباحثون من رد كلمة « المرجيحة »

إلى كلمة : الأُرجوحة ، واللغة فيها كلمة « المَرْجوحة » بمعناها ، وهى أَوْلى أن تكون أصلا ، إذ التغيير لايعدو أن يكون تساهلا فى النطق ، بإمالة الواو نحو الياء .

ومنها ماقيل من أن « بصبص » محرفة عن : وصْوص ، وفى اللغة من معانى البصبصة ما يُحْتَمَل عليه مدلولها فى العامية ، دون النزوع بها إلى كلمة أخرى .

ومنها القول بأن « خربش » أصلها : خمش ، وفى اللغة : خرمش بمعنى خمش ، وفيها أيضاً خربش ، بمعنى يمكن أن يتّسع للمدلول العامى .

فالبحث فى أصول الكلمات العامية يقتضى دقة فى التحليل والتعليل، حتى لانتجنّى على كلمة بإخراجها من نسب الفصيح، وحتى لانتعمَّل فى توهّم الوصل بين كلمة وكلمة ليس بينهما نسب صحيح .

(٨)

لشدّ ماتأثرتْ أنفس كتاب الفصحى بافتراض البعد بينها وبين العامية ، فما يكادون يدّعون أقلامهم يفلت إليها من العامية لفظ ، وما يكادون يأنسون منها إلى تعبير .

كنت أستمع إلى إحدى الإذاعات . فقال المذيع : إن السُّقاة امتنعوا عن نقل الماء إلى القوات المعادية . فهذا المذيع الفصيح يتوخى ألا يقول «السقّائين» بدلا من: السقاة . ولم يُنصف العامية ولا الفصحى فيما توخىّ . فالسقاة تنصرف أكثر ما تنصرف إلى السُّعاة بكئوس الخمر في مجالس المنادمة ، وقد خُصِّصَتْ كلمة الساقى لهذا المعنى في التعبير الأدبى على توالى العصور . واستعمل فصحاء الكتّاب قديماً كلمة السقائين لمن يسقون الناس ماء أو يحملون الماء إلى البيوت ، وقد رَوَوْا أن «أبا تمام» كان في حداثته سقّاء في مسجد عمرو ، ولو عبرنا بأنه كان ساقياً لاشتبه المسجدُ بالخان ، والتبسَ الماءُ بالصَّهباء !

وتتحدث وزارة «التموين» عن العدس أو الفول إذا كسر أو ذهب عنه القشر ، فتقول : عدس مجروش أو فول مجروش ، وفى اللسان العامىّ يقال: مدشوش ، وكلمة المدشوش في الفصحى تحمل معنى الرض والجرش ، ولكن الكاتب الفصيح الذى أشاع كلمة المجروش لم يشأ أن يضاهىء لسان العامة في كلمة «مدشوش» ، فتركها مشردة لا ترقىَ إلى ألفاظ الكتابة والتدوين ، في لغة التموين !

والشعب كله يقول: عوّامة . وبيّاع ، وسوّاق، وخدّام . ولكن

حملة الأقلام يعدلون إلى نظائر لهذه الكلمات الصحيحة ، فيقولون : عائمة ، وبائع ، وسائق ، وخادم . وحين يقول الناس جميعاً : بَرَم شاربه ، وتأمَّرَ عليه ، ومَلَخَ ذراعه ، ونَتَرُه ، وسَيَّبَه . أو يقولون : حوَّش المال ، وبلَّط فى أداء الدين ، وبَرْطَلَ المرتشى — لا يطيب للكاتبين إلا أن يستبدوا بهذه الكلمات لا تمتاز عنها بشىء من الفصاحة ، كأنما هم حراسٌ على تأكيد الفصل بين العامية والفصحى ، وإن دعاهم ذلك إلى جحود الكلمات الصِّحاح .

ومن بين الاستعمالات فى اللسان العامى ما نتصيدُه فى نصوص الأدب القديم ، وإن يكن غير شائع فى لغة الثقافة . فمن ذلك كلمة «طيِّب» التى نستعملها فى مقام الموافقة ، فقد أورد صاحب «الأغانى» فى الجزء الأول من كتابه حواراً جاء فيه سؤال قائل : هل لك فى كذا ؟ فكان الجواب : طيب ياسيدى . . . ومن ذلك كلمة «وجب» التى تستعمل فى مقام الاستجابة ، وفى معرض الملاطفة ، فإن قارىء الشعر يصادفها فى بيت لعمر بن أبى ربيعة ، إذ يقول :

إن كفى لكِ رَهْن بالرِّضا فاقبلى ياهندُ ، قالت : قد وجب

ومن ذلك استعمال « الحظّ » بمعنى الطرب واللهو والأنس ،

فقد جاء في الجزء الأول من « زهر الآداب » على لسان الخليفة الشاعر « ابن المعتز » قوله : « وكان لنا مجلس حظ ... »

ومن العجيب في شأن هذا اللسان العامي أن فيه كلمات يسرع المرء إلى إنكار فصاحتها ، لأنها مفقودة أو نادرة في كتب الأدب وتُراثِ العربية على وجه عام ، ولكن التنقيب في المعجمات ، وإنعام النظر في أوابدِ الشعر ، يُسفرُ عن وجود تلك الكلمات التي تدور على ألسن الناس حتى اليوم .

فمن ذلك كلمة « فُمّ الغسيل » التي يراد بها المرة من غسل الثياب ، إذ يقال : غسلت الثوب فُمًّا أو فُمَّين أو ثلاثة أفمام . فهذا التعبير فصيح يستفاد مما يساق في صدد كلمة « الفَـمِ » من المعاني المعجمية لها ، حتى إن ضمّ الفاء وتشديد الميم مما ورد في اللغة .

ومن ذلك كلمة « هِلاهُب » التي يراد بها الدعاء والحث والإهابة ، وتتردد في الاستعانة على الحمل . فقد ورد هذا التعبير لذلك المعنى عينه بصور مختلفة تقرب من النطق العامي أو تبعد ، وحسبنا من أمثلته الشعرية الكثيرة قول « مسكين الدارمي » :

كشَمُوسِ الخيل يبدو شغبها   كلما قيل لها : هالِ وهَبْ

ومن ذلك الحلف بالأمانة ، فيقال : بالأمانة لتزورنى ، وأمانة ياليل تعطف علىّ الحبيب... وقد كان القسم بالأمانة فى أزهى عصور العربية ، سجلته بعض المعجمات ، وجاء فى قول « الأحْوص » :

ولقد نزلت من الفؤاد بمنزل ما كان غيرك والأمانةِ ينزل

ومن ذلك « الحُرْمَة » بمعنى الزوجة ، و « اللخْمة » بمعنى فقدان الخفة ، والكتابة «الناطقة» بمعنى البينة الواضحة، و«الطّشاش» بمعنى ضعف الإبصار ، و«الرأس» بمعنى الشخص الفرد فى لغة القائمين على الحمامات . و «والمرسال» بمعنى الرسول ، و «النّهمة» بمعنى الهمة، و«النَّفْس» بمعنى الرغبة ، وبمعنى العين الحاسدة ، و «شوّرَ له» بمعنى أومأ ، و«الصّيغة» بمعنى الحلى ،و«خرْبقَ» بمعنى أفسد ، و«الخِلْقة» بمعنى الطبيعة ، وبمعنى هيئة الوجه ، و « الأسامى » جمع اسم ، و « البالة » بمعنى الكيس ، و « القبْضة » بمعنى ما تتناوله بأطراف الأصابع من ملح ونحوه ، و « تعّزيل » الساكن بمعنى إخراجه من مسكنه . إلى غير ذلك من كلمات فصيحة صحيحة تحيا على ألسنة الناس ، وإن كانت مَنْسِيَّةً فى لغة الكتابة والتدوين .

هذا الباب الواسع من أبواب الكلمات العامية لا يستطيع أحد

من المترمّتين فى اللغة أن يجادل فيه ، فالكلمات فصيحة يحتج لفصاحتها معجم وثيق ، أو يشهد باستعمالها بيان أصيل ، أو يأذن باتخاذها قياس من أقيسة الفصحى منعقد عليه الإجماع .

(٩)

وثَمَّةَ باب آخر أكبر من ذلك الباب سعة ، تزدحم فيه كلمات عامية ، جُذورُها عربية ، وصيغتها كذلك عربية ، ولكن الجديدَ فيها هو تحديد الدلالة ، أو تخصيص المعنى ، أو إطلاق ما قيّد منه . وهو فى الجملة إشراب اللفظ مدلولا مولداً لا يَنْشُز عن مدلوله الأصيل ، ولا يتنكر لمعناه القديم .

ولقد كان حقاً أن تحتمل الألفاظ العربية على ألسنة العامة دلالات جديدة ، وأن تكتسيَ صبغة مجازية خاصة . فالناس يغوصون بألفاظهم فى ملتطم العيش ، ويصادفهم من الأدوات والأشياء ما ليس لهم به عهد ، ويهجس فى نفوسهم من المعانى والصور ما تواتيهم به استجاباتهم للحياة ، ومن ثَمَّ تخرج ألفاظهم من ربقة الجمود ، وتتصرف على ألسنتهم فى حيوية ومرونة وطلاقة ، حافلة بالمعانى والدلالات ، لكى تصف لهم ما تقع عليه الأعين أدق وصف ، وتعبر لهم عما تتناجى به

النفوس أجلى تعبير .

وذلك الباب من الكلمات العامية هو زُبدة خبرة بيانية بعيدة المدى ، عميقة الأثر ، وهو ثمرة تجربة اجتماعية لابَستْها الأمة فى أحقاب ممدودة . وقد عُرِفَت هذه الأمة بذلاقة اللسان ، وذكاء القلب ، ورهافة الحس ، وأن لها كياستها ولباقتها فى الأداء الحَسَن ، ولها وَلوُعها بالتعبير الجميل . فاستعمالاتها تقطير مصفى لما امتازت به من ذلاقة وذكاء ورهافة ، وهى مرآة مجلوّة لذوقها البيانىّ ، ومَظْهَر واضح من فنّها التعبيرىّ .

ولو أننا عمدنا إلى هذه الزبدة المركزة ، وهذه الثمرة الطيبة ، فألحقناها بالبيان العربى ، واصطنعناها فى لغة الكتابة ، لأمددنا الفصحى بما يزيدها من قوة وفراهة ، ولأكسبناها ثروة تُغْنِيها وتُنْمِيها على الأيام .

بَيْدَ أننا كرهنا هذه العامية أشدّ الكره ، فَصَدَدْنا عنها الكأس ، وأهدرنا حقها فى الحياة ، فما يَنبِس نابِس فى العامية ببِنْت شَفة ، إلا أنكرناها عليه ، وأَبَيْناها منه ، ولم نطوِّع لأقلامنا أن تتقبلها بقبول حَسَن ، فكأننا بهذا الصنيع الجائر

تَئِدُ بنات الشِّفاه من ولائدِ العامية ، وإن هذه الموءودات لا تدرى كيف تُجيب إذا هى سُئِلتْ : بأىِّ ذنب قُتِلَت ؟

لستُ أدرى بأى حقٍّ ساغ لنا قبولُ التطور فى معانى الألفاظ ودلالاتها على أقلام الكتاب والأدباء فى مختلف عصور العربية ، مما سميناه « التوليد » ، وعزَّ علينا أن نقبل مثل ذلك من تعبيرات أمة فى مجتمع حىّ ، لم تتخذ لها لساناً آخر غير العربية ، ولم تجنح فى تطويرها لمعانى الألفاظ ودلالاتها إلى غير مناهج اللسان العربىّ .

وليتنا كنا إذْ نعزف عن بعض كلمات العامية نعزف عن استغناء ، إذ نؤثر ما بين أيدينا من كلمات الفصحى . فالحق أننا فى كثير من مقامات الكلام ، نجد الكلمة العامية أَبْيَنَ فى الدلالة ، أو أقوى فى التأدية ، أو أسرع فى التأثير ، أو أَخْصَرَ فى العبارة ، أو لا نكاد نجد فى الفصحى ما يقابلها على الإطلاق . ونحن على الرغم من ذلك نتعالى بأقلامنا على الكلمة العامية ، ونستبدل بها من الفصحى ما نحاول به أن نسد الحاجة ، وإن كان البديل الفصيح لا يشفى ولا يكفى .

(١٠)

يفرق العامة بين الكلمات الثلاث : باش ، وساح ، وذاب ، فيقولون :

باش الصابون أو الخبز اليابس ، أى تخلله الماء فذهب عنه اليبس ، وساح الزبد أو الرصاص ، أى تحلل بالحرارة والتسخين حتى صار مائعاً . وذاب السكر أو الملح : تزايل عنه كيانه ، واختلطت بالسائل ذراته . وليس بمفهوم عنك ، ولا متقبل منك ، أن تستعمل إحدى هذه الكلمات الثلاث مكان الأخريين ، فلو قلت : باش السكر ، لم تؤدِ معنى الذوبان ، ولو قلت : ساح الصابون أو ذاب الزبد لجلبت على نفسك السخرية ، ولكنت ركيكَ التعبير غيرَ مبين . والفصحى تقول : باش القوم : اختلطوا ، وساح الماء : جرى ، وذاب : ضدّ جمد . فهذا التخصيص العامى يأوِى من العربية إلى ركن شديد .

ويفرق العامة بين : بصَّ ، وتبصَّصَ ، وبصبصَ ، فيستعملون « البصّ » لمطلق النظر ، و « التبصُّص » للنظر المتلاحق يَمْنة ويَسْرة ، و « البصبصة » لمعنى خاص دقيق هو النظر إلى المرأة على جهة التملّى والاستمتاع ، أو المعاكسة والتغزل . واللغة تقول : بصّ : برق ولمع ، وبصَّص : فتح عينيه وحركهما ، وبصبص : بمعنى بصَّص ، وبمعنى لوَّح ، وبمعنى تحريك الظباء أذنابها . فالبصّ فى

معنى النظر مجاز ، والتبصبص فى معاودة النظر لا يمنع منه مانع ، وما دامت البصبصة تحمل معنى فتح العين والتلويح والتحريك فاتخاذها للمعنى العامى تخصيص سائغ .

ويفرق العامة بين الحلة ، والقدرة . فالحلة الإناء يطبخ فيه ، والقدرة شبه الجرة لطهو الفول أو لخزن السمن أو لغير ذلك من الشئون . فشئنا نحن الكتاب الكرام أن نكون فصحاء متحرزين ، وسميّنا وعاء الطبخ قدرا ، فلم نحسن ، إذ القدر لها دلالة معينة ، ولها شكل خاص ... واستعمال الحلة فى معنى إناء الطبخ استعمال مصرى ليس بجديد ، فقد سجل بعض اللغويين أنه كان شائعاً فى مصر منذ مائتين من السنين ، واللغة لا تغضب على استعمال الحلة فى معنى وعاء الطبخ ، فمن معانيها أنها الوعاء مطلقاً ، ولا ضير على من يخصص ، والويل كل الويل للغة يعوزها التخصيص للفهم والإفهام .

وقد اتخذ العامة كلمة « النقطة » لشىء خاص فى مجتمع الناس ، ذلك هو أن يتلقى العروسان ألواناً من الهدايا والألطاف فى مناسبة الزواج ، وقد يجرى ذلك فى محافل البهجة ، وفى المناسبات السارة ، نحو الولادة أو الختان ، فيتقبل « النقطة » أصحاب تلك المناسبات ،

أو من يَجلُبُونهم فى المحافل للرقص والغناء ، وهذا من العادات الاجتماعية التى كانت معروفة منذ أقدم العهود ، وقد أطلق العرب كلمة « النِّثار » على ما يُنثَرَ فى العُرْس على من حَضَر ، فكلمة النِّثار لا تشمل مدلول « النقطة » كله ، فتارة تكون « النقطة » نثاراً لمن يُحْيُون الحفلَ البهيجَ بالطرب والإيناس ، وطوراً تكون إهداءً للعروسين ومن إليهما من أصحاب الأفراح والليالى المِلاَح . على أن معنى « النقطة » قريب من معنى النِّثار فى اللغة ، والعرب يقولون : نَقَّط الخبر : جاء به شيئاً بعد شىء ، وتَنَقَّطت الأرض : ظهر فيها نُقَطٌ من عُشْب . وإذن فإطلاق كلمة « النقطة » فى تسمية تلك العادة الاجتماعية إطلاق لا يمارِى فيه لغوىٌّ ذوقُه سليم .

ويستعمل العامة كلمة « المِشْوار » فى معنى مدى السير والنقلة من مكان إلى مكان . فيقولون مثلا : بين البيت والمدرسة مِشوار ، أى بينهما بُعْد معلوم ، وهم كذلك يكنُون بكلمة « المشوار » عن المهمة ، فيقولون : وراءه مشوار ، أى عليه أن يؤدى مهمةً بالسير إلى جهة معينة . فهل تؤدى كلمة « المرحلة » أو « المسافة » هذا المعنى بحذافيره ؟ وهل تسوغ كلتاهما أو إحداهما فى التعبير ؟ وما لنا نتضايق

ونتحجَّر على أنفسنا ، والمعجمات تثبت من التعبيرات المأثورة : «إياك والخطب فإنها مشوار كثير العِثَار» ، و«انظر إلى الدابة كيف مشوارها ؟ أى : كيف سيرتها ...» ، فكلمة «المشوار» لها فى اللغة أصل وأساس ، ورَعياً لهذا الأصل وبناءً على هذا الأساس ، يجوز لنا أن نصبغ الكلمة بصبغة المعنى الحديث الذى يستعملها فيه خلقُ الله .

وإذا أراد العامة التعبير عن صيحة لها نبرات خاصة ، تطلق عند مفاجأة مفزعة ، أو عند وقوع كارثة ، أو فى المآتم عامة... قالوا : الصوات ، واستعملوا فعل : صوتَ . ولو أننا استعضنا بكلمة الصراخ أو الصياح أو الولولة أو الندب ، لما أدَّت واحدة منها أو مجموعها ذلك المعنى الخاص ، فقد تصرخ المرأة أو تصيح أو تولول أو تندب دون أن يكون ذلك «صُواتاً» بمدلوله الدقيق ، وقد تفعل ذلك كله دون أن تكون قد «صوَّتتْ» بالمعنى المعروف . واللغة تسجل فعل : صوَّت ، ولا ابتداع فيه . وأما «الصوات» فإنه يجرى على وزن فُعال ، وهو وزن صرْفىّ مأنوس ، ينقاس عليه الكثير من أسماء الأصوات .

ويقول العامة : «فلان غُلب» على صيغة البناء للمجهول ، يعنون

أنه جاهد وكافح فى أمر فلم يبلغه ، ويمكن التعبير عن هذا المعنى الذى يؤدى بفعل واحد بجمل كثيرة فصيحة ، فنقول : استنفد جهده ، وبذل كل حيلة ، ولم يترك وسيلة ، ولم يدخر من وسع . كذلك يمكن التعبير بفعل واحد ، وهو : أَعيا ، ولكن فعل « غُلِب » المبنى للمجهول يتمحَّضُ لمعناه العامى تَمَحُّضاً قوياً ، إذ يثير فى الذهن صورة مجاهد مجالد ، خرج من معركة البحث والمعاناة ، ظل يغالب حتى غُلبَ . والغرضُ البلاغىّ فى هذا ناصع الجبين .

ويرى العامة الرجل يقف على أطراف أصابعه لتطول قامته ، فيقولون : هو يشبّ ، وما أدرى أفى الفصحى كلمة واحدة تؤدى هذا المؤدَّى ؟ ولكننى لا أرى بأساً بأن نأخذ الكلمة العامية ، فالشَّب فى اللغة : الارتفاع ، وشبَّ الفرس : رفع يديه . فلنُجر على أقلامنا « شبَّ » بمعنى وقف على أطراف أصابعه ، ولنسجل فى معجم العربية الحديث ما لحق الكلمة من تطور فى المعنى يَجنحُ بها إلى التخصيص .

ويصف العامة الرجل بأنه « حقَّانىّ » فإذا حاولنا ترجمة هذه الكلمة إلى العربية ، لم تُعوِزنا الجُمَل ، فنقول : هو طاهر الذمة ، أو دقيق المعاملة ، أو مؤد لما عليه ، أو لا يأكل حق أحد . بيد أننا

لا نكاد نجد كلمة واحدة تنفذ إلى النفس بكل ما تنفذ به كلمة «حقانى» فى غير زيادة أو نقص... و «الحقانى» فى اللغة المنسوب إلى الحق ، وقد جاءت الكلمة على صيغة النسب مع الألف والنون ، وهى صيغة وردت عليها كلمات كثار ، منها هذه الكلمة العامية الحافلة بجلائل المعانى .

ويقول العامة فى وصف المصباح إنه «مُدَخْمِس» أى أن ذبالته أو فتيلته ليست مرفوعة بارزة تأخذ من النار قدراً كبيراً فتبعث ضوءاً قوياً ، ويقولون فى الأمر بذلك : دَخْمِسْه ، أى اهبط بذبالته حتى يقلّ ضوءه . ولو أردنا أن نعبر عن هذا المعنى بكلمات فصيحة لقلنا : مصباح ضوءه خافت ، أو شحيح ، أو ضعيف . والمصباح قد يكون خافت الضوء وشحيحه وضعيفه ولا يكون مدخمساً بهذا المعنى الدقيق . فأى ضير علينا فى أن نستعير كلمة «الدَّخمسة» واللغة تقول : دخمس الرجل : لم يبين مراده ، ودخمسه : خدعه ، وأمر مُدخْمس : مستور ، ولا شُبهةَ فى أن حمل المعنى العامى على هذه المعانى الفصيحة لا تضيق به رسوم علم البيان .

ويقول العامة : هذا رجل مناكف ، فالشارى يناكف البائع ، والزوجة تناكف الزوج ؛ يعنون بالمناكفة ما لا أستطيع أن أقول

إنه المنازعة أو المشاحنة أو المشادَّة أو المجادلة ، فكل لفظ من هذه الألفاظ على حدَةٍ لا يقوم بمعنى المناكفة على جهة التحديد . واللغة تقول : ناكفه الكلام مناكفة : عاوره إياه ، أى : قابله بمثل كلامه . وتناكفوا الكلام : تعاوروه . فهذا التفسير اللغوىّ المعجمىّ ، الجامد المائع ، ينتفضُ حيويةً على ألسنة الناس ، وتتشكلُ له صورة معينة ، إذ يعبرون به عن خَلةٍ من خلال بعض الناس فيما يتناولون من الشئون ، ويصفون به حالة من المناقشة العسيرة تعرض بين اثنين ، وتقابل التسامح والتساهل والمياسرة .

(١١)

وإن ساغ لكاتب متأنق أن يترفع عن مشاكلة العامة فيما يتناقلون من هذه الكلمات والتعبيرات ، على فرْطِ الحاجة إليها ، وأن يستجيد من كلمات الفصحى كل شريف ، أو كل طريف ، فالكاتب الروائى أو القصصى له شأن غير هذا الشأن ، وهدَفٌ غير ذلك الهدف ، إذ هو أحوج ما يكون إلى اصطناع كلمات وتعبيرات عامية فى الوصف والتصوير ، وبخاصة فى مساقِ الحوارِ . فهى ذات دلالة تأثيرية خاصة فى النداءات والأدعية والأجوبة ، وفى الإعراب

عن المشاعر والأحاسيس ، ولاسيما حين يدور الحوار بين فئات من الناس مغرقة فى السُّوقيَّة ، متغلغلة فى المحيط الشعبى ، وحين تظهر شخصياتها على مَنصَّةِ المسرح ، فى أزيائها البلدية ، وفى هيئاتها المتميزة ، لكى تتناقل الحديث .

ومن أمثلة ذلك أن يتحاور رجل وامرأة ، فتقول المرأة فيما تقول :

يا مدعوق . ياموكوس . يا بايخ . يا خبّاص . يا مسّخوط . خصْلتُك وحشَة . كلامك كلام عِيال . وانت مالك ؟ ايش حَشرك ؟ ما لِعقلك ؟ دائماً تحبّ تُلتّك !

فيجيبها الرجل فيما يجيب :

اسكتى يا مُحرْمه . زهّقتينى . طلّعتِ روحى . سدّيتِ نفسى . يا حفيظ . كلامك يُنشِفُ الرِّيق . انجَرِّى من قدّامى لا ألعنْ لك أسلافك . كفايه . هُسْ . بسْ .

ومن الأمثلة أن تقول إحدى النساء :

يا ضنَايَ . حاسب لا تقعْ . اسمُ اللهِ عليك . المحروس اسمُه محمد . عاشتْ الأسامى . ولد حَرِكْ . طالعْ لخاله .

أو تقول : البنت مُملحلحة . يدها مُدمْلكة . غسلتْ البياضات . وقفت تنشر الغسيل ، ساعة الصُّبحيَّة . هى تحب تلبس المحزّق . حضرت سُبوع جارتها . قلعَتْ فى اليوم ثلاثة غيارات . راحت لأختها تقول لها : صباحيَّة مباركة .

كذلك من الأمثلة أن يقال :

ضاعت فـرْدة حلق . طارت فردة حمام . الثوب كله هَباب . المفتاح غطس . الأرض نشفتْ . قبض عرَقه . تغدّى بعيش حافْ . قعد يـَوحوح . خرج يُبرطم . راح يُهبّش . كان عرقان . فاضل عليه من السُّلفة تناتيش . دخل من الباب البرّانى . طلع من الباب الجوّانى . تعلم الفخفخة . عينه رفّتْ . حصَل خير .

إلى عشرات من النظائر والأشباه ، مما له وقع فى الإبانة ، وتأثير فى التعبير . ومتى عدَل عنه الكاتب القصّاصُ فى روايته أو مسرحيته ، فإنه يفلت من حقّ الأداء ، ويُخل بالدلالة ، ويحوم حول الهدف دون أن يُواقعه .

على أن هذا الذى سُقتُه من الأمثلةِ عربىّ كلُّه ، وفى قليل منه لونٌ من التخصيص السائغ والتجوزِ المُباح .

(١٢)

إن بين العامية والفصحى ستاراً موهوماً ، علينا أن نجلوَ غشاوته عن العيون . وليس من خير الفصحى أن تقوم بينها وبين العامية هذه العُزلة الموحِشة ، فنحن نقتبس من اللغات الأجنبية كلمات معرَّبة ، ونترجم منها تعبيراتٍ لها دلالة خاصة ، وفاءً بحاجات الحياة العصرية ، وإغناء للبيان العربيّ بالطيِّب من ثمرات اللغات . فما أحرانا أن نفتح الباب على مصراعيه لكلماتنا العامية تقتحم ميادين الكتابة والتدوين . وما هذه الكلمات إلا « مصنوعات وطنية » نُسِجَتْ من خيوط عربية ، وصقلتْها ألسنةٌ عربية ، وأصبحت لنا بها أُلفة وأنس. وهى إذا دامجت الفصحى أكسبتها مزيداً من الدقة والوضوح ، وأفاضتْ عليها مرونة واستجابةً للحياة المتجدِّدة .

لقد جنتْ على هذه الكلمات تسميتُها بالكلمات العامية ، لاقتصار استعمالها على ألسنة العوامّ ، واختصاصها بلغة التخاطب والحديث ، فلنعرفْ لها حقَّها فى العربية ، ولتجرِ بها أقلامُ الكرام الكاتبين دون تحرُّز ، ولنُسمِّها : العامية الفُصحَى !

فهرست الكتاب

صفحة

١ — قضية اللغة العربية ٣
٢ — لغة المجتمع ٢٣
٣ — ضبط الكتابة العربية ٣٩
٤ — سلطان اللغة العربية... ... ... ٧٥
٥ — كلمات الحياة العامة ٩٧
٦ — مواليد جديدة ... في لغة الحياة العامة ١٣٣
٧ — العامية ... الفصحى ! ١٥٧

من مؤلفات «محمود تيمور»

(ا) مجموعات قصصية :

١ — كل عام وأنتم بخير
٢ — مكتوب على الجبين
٣ — شفاه غليظة
٤ — إحسان لله
٥ — انتصار الحياة
٦ — قال الراوى
٧ — أبو الشوارب
٨ — دنيا جديدة
٩ — فرحنا عجب

(ب) قصص مطولة :

١ — كيلوباترا فى خان الخليلى
٢ — سلوى فى مهب الريح
٣ — نداء المجهول
٤ — شمروخ
٥ — معبود من طين

(ح) صور وخواطر :

١ — ملامح وغضون
٢ — النبي الإنسان
٣ — شفاء الروح
٤ — عطر ودخان

(د) رحلات :

١ — أبو الهول يطير
٢ — شمس وليل
٣ — جزيرة الجيب

(ه) قصص تمثيلية :

١ — صقر قريش
٢ — سهاد أو اللحن التائه
٣ — المنقذة وحفلة شاى
٤ — المخبأ رقم ١٣
٥ — المزيفون
٦ — فداء
٧ — اليوم خمر
٨ — ابن جلا
٩ — قنابل
١٠ — حواء الخالدة
١١ — طارق الأندلس

(و) دراسات لغوية وأدبية :

١ — مشكلات اللغة العربية
٢ — دراسات فى القصة والمسرح
٣ — طلائع المسرح العربى
٤ — اتجاهات الأدب العربى
٥ — القصة فى الأدب العربى
٦ — معجم الحضارة (قاموس)